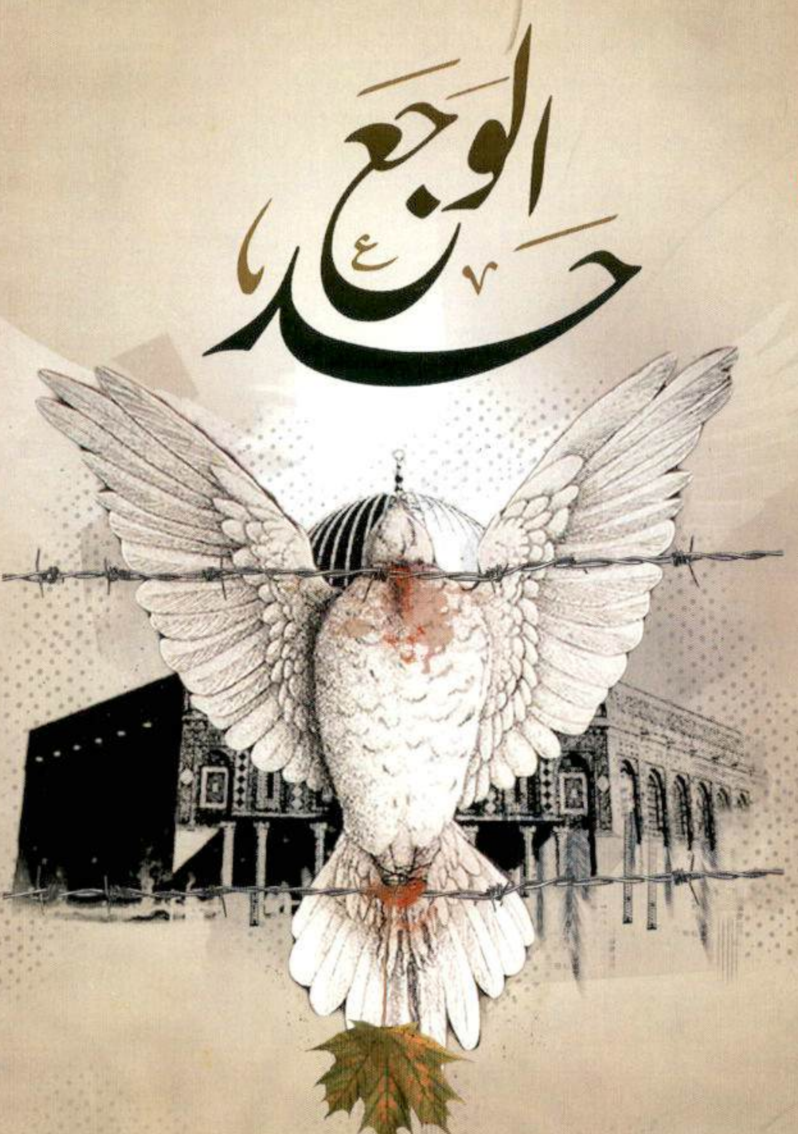
النشر لمن يستحق

قصص

# حد الوجع



## امتياز النحال زعرب

كيان كورب. دار ليلى

٢٣٧٩٠٥

امتياز نحال زعرب

# "حد الوجع"

كيان كورب للنشر والتوزيع
(دار ليلى)

الكتاب:
حد الوجع
المؤلف:
امتياز نحال زعرب
الغلاف:
عبد الرحمن الصواف
الإخراج الفني:
حسام سليمان
التدقيق اللغوي:
محمود الغرباوي
★★★
إدارة التوزيع:
عبد الله شلبي
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★




رقم الإيداع: 11676/2012



الترقيم الدولي: 978-977-5238-35-4

المهندسين-23 شارع السودان–تقاطع مصدق-الدور الرابع–مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)
البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

امتياز نحال زعرب

# "حد الوجع"

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى



# مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد عن 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق) والذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منها كتابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب – خاصة بعد ثورة يناير العظيمة– وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها – الناشر والقارئ – على حد سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت – وبشدة– اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها – كما عهدتموها– بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائجها، على رأسها:

- توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

- تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب، حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

- تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

- توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصري، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى عز وجل أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثير من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع، ستصبح – مثل سابقيها– بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

**الناشر**

# إهداء

إلى الغائبة الحاضرة..

أمي رحمة الله عليها..

## شكرًا..

لكل من شجعني على الكتابة:

زوجي وعائلتي الكريمة..

في غزة..[*]

عيون أفزعها الصباح..

مهدهدة..

مكبلة..

مهددة بالاجتياح.

* * *

كأن عيونًا غَفَتْ..

واستفاقت عيون..

وبدأ الجنون..

* * *

روحٌ مُتخنة بالجراح..

مُتخنة بالنواح..

مُتخنة حد الصباح..

* * *

* في الذكرى الثالثة للحرب على غزة



# الكتاب الأول

# قصص حد الوجع



# كانوا ثلاثة..

جلست تراقب الرذاذ المنسكب بعفوية شديدة علـى نافـذة حجرتهـا، حجب الرؤية عن كل شيء.. لم تعد ترى شجرة الجميز العملاقة التي ترسـم نفسها كأنها أسطورة مقبلة من عالم ألف ليلة وليلة، لم تعـد تـرى ضـحكات الأطفال ولا تسمع نظرات الحيرة في عيـونهم الـصغيرة البريئـة، فقـدت كـل حواسها، بعد أن تداخلت في بعضها البعض.. اختلطت فما عادت تفـرق بـين تلك الحاسة وتلك.

أدارت ظهرهـا للنافـذة المستوحـشة، وأقلعـت بعيـون خائفـة وقلـب مرتجف إلى مطار الذكريات لتهبط على رصيف الألم المشوب بالترقـب، مـر عامٌ كامل على رحيل الابتسامة وغياب الألفة، عـامٌ كامـل لا تـزال تجلـس في نفس المكان، بنفس الثياب، بنفس الروح، بنفس الجسد، تنتظر وتنتظر.. لا تنتظر عودتهم، بل تنتظر موعد رحلتها لتلحق بهم، بعد أن سافروا من دون ميعاد ولا حتى وداع.

كانوا ثلاثة.. نعم ثلاثة.. توشحوا بـالأبيض وفتـات النـسرين يعبـق أجسادهم الصغيرة، ينشر عطره على من يراهم ويستبق خطاهم..

كانوا ثلاثة.. نعم ثلاثـة.. رسمـوا زهـرة عمرهـا، وورونـق جمالهـا، وسحر بريقها، وأنعموا عليها بأجمل لقب قد تحلم به امرأة..

كانوا ثلاثة.. نعم ثلاثة.. غطوا في نومٍ عميـق.. لا يريـدون شيئا مـن عالم الأوغاد إلا الراحة والهدوء.

كانوا ثلاثة.. أرادوا اللعب بالـدمى وبالرمـال الـصفراء المبعثـرة علـى حدود الأمل والصبر..

فاجأتهم رياح الغدر.. وسحقت أجسادهم الندية فتطـايرت أشـلاؤهم لتعبق المكان برائحة ورد لم يتفتح بعد.

سمّوها في نشرات أخبـارهم «ألغامـا أرضـية» وسمّتهـا هـي في جعبـة القلب «أحقادا بشرية»..

قالوا: ثلاثة أطفال كانوا.. صبيين اثنين وصبية، كانوا مجرد أرقام في نظرهم.. وكانوا بالنسبة لها ثلاث فلذات أكباد تمشي على الأرض العصية.

منذ رحيلـهم.. فقـدت صـلتها بالأحيـاء، لم تعـد مـنهم ولم يعـودوا منـها، أصبحت تعيش في برزخ يفصلها عن كل شيء بلا شيء.

لا تعلم هل هي حية في عالم أموات، أم ميتة في عالم أحياء..

لم تعد تعلم من هي.. من أين جاءت، وإلى أين تذهب، كل مـا تفعلـه

هو الانتظار.. الانتظار فقط، لعل المقبل من بعيد يحمل أخبارا عن أحبابٍ غادروا سفينتها مبكرا.. عن أحبابٍ رحلوا حتى يلعبوا دون ملل أو كلل، دون أن يؤنبهم البعض على أصوات ضحكاتهم الصاخبة.. دون أن يشتكي البعض من أصوات أقدامهم ورقصاتهم الليلية في أحضان تلك البرية..

عادت لتنظر من جديد عبر نافذتها الخرساء، ما زال الرذاذ ينسكب بعفوية شديدة عليها، حجب الرؤية عن كل شيء.. لم تعد ترى شجرة الجميز العملاقة التي ترسم نفسها كأنها أسطورة مقبلة من عالم ألف ليلة وليلة، لم تعد ترى ضحكات الأطفال ولا تسمع نظرات الحيرة في عيونهم الصغيرة البريئة، فقدت كل حواسها، بعد أن تداخلت في بعضها البعض.. اختلطت فما عادت تفرق بين تلك الحاسة وتلك..

# من وراء جدار

لقد كُتب علي أن أستيقظ كل يوم على صوت هذه الفتاة الغريبة التي تغني للطيور في كل صباح، ألا تمل من الغناء؟ إنها تستيقظ قبل الجميع، تفتح ذلك الباب الخشبي ذا الصوت المزعج وتقول بصوتها الجهوري: (يا فتّاح يا عليم، يا رزاق يا كريم) وتعلو بصوتها لكي يصل إلى السماء وكأنها إذا قالتها بصوت خفيض فإن دعاءها لن يتعدى حدود منزلها الصغير ذي الحجرة الواحدة والفناء الكبير.

هذه الفتاة ذات الرابعة والعشرين من عمرها تقطن في مخيمنا مع عائلتها الصغيرة المكونة من أبيها العاجز وأمها المريضة، لم يكن لها حظ وافر من الجمال، ولهذا لم يطرق أحد بابها، كما أن الفقر صبغ عليها عمرا أكبر من عمرها، والغريب أنها سعيدة بهذا الفقر، سعيدة بالعيش في المخيم، وسعيدة بالقيام على خدمة أبيها وأمها.

تجدها في الصباح الباكر تغني للدواجن التي تقوم بتربيتها وللطيور المتسللة التي تتوقف بفنائها لتناول الطعام، كما تقوم بالاعتناء بشجرتي الليمون والبرتقال اليتيمتين.

أجلس على سريري محاولاً مراجعة دروسي، فامتحانات الجامعة على الأبواب، ولكني غير قادر على التركيز، فجو المخيم خانق، الزحام في كل مكان، البيوت متلاصقة، وجدارٌ فوق جدار، ورائحة المجاري تفوح في كل أنحاء البيت.

لا ينتشلني من هذه الفوضى الجسدية والحسية والفكرية إلا رائحة القهوة العربية التي تعدها تلك الفتاة، كم أنا محظوظ لأن نافذة حجرتي الصغيرة تطل على فناء بيتها، يا إلهي كم أتوق لرشفة من قهوتها.. كم أغبط والديها عليها، إنها تنشر الأمل والتفاؤل في بيتهم، لصوتها طعم ولضحكتها طعم ولقهوتها طعم، لقد أنعم الله عليها بنعمة الرضا والقناعة؛ لذلك هي سعيدة وتصبغ السعادة على كل ما يحيط بها فلا حدود لسعادتها، كم هو دافئٌ صوتها عندما تشدو في المساء لوالدها بصوتها الشجي وتقول: (أغيبُ وذو اللطائف لا يغيبُ).

إن هذه الفتاة تثير بداخلي ألف سؤال وسؤال، من أين لها هذا الكم الهائل من التفاؤل على الرغم من الحياة الصعبة التي نعيشها هنا داخل المخيم، كم أرغب بالرحيل بعيدًا ولكن أين أذهب، فالحصار يخنقنا، سواء هنا في المخيم أم هناك في المدينة، فحالنا واحد في كل مكان في غزة.

أشعر بالاكتئاب والضيق والتعب، يا ليتني كنتُ مثل هذه الجارة التي

وجدت السعادة بداخلها، إنها لا تفكر في شيء، تعيش حياتها يوما بيوم، راضية بما قسمه الله لها، لا تتذمر ولا تشكو، بل تعيش في بساطة وسكينة.

عدتُ من الجامعة اليوم واستلقيت على سريري، كم أنا مرهق ومنهك، محاضرات طوال اليوم بلا توقف، أين فتاتي لتغني لي، ما لي لا أسمعها تغني كعادتها لحبات المطر ولأوراق الشجر، يبدو أنها مشغولة بأمرٍ ما، لا مشكلة، سوف أنام الآن وأنا على يقين بأني سوف أستيقظ صباحًا كالعادة على صوتها الجهوري.

حدقت في سقف حجرتي في محاولة يائسة للنوم، وتذكرت بأن لي أكثر من ثلاثة أيام لم أسمع صوتها ولم أشم رائحة القهوة المقبلة من بيتها، ولكن مهلا، ما هذا الصوت، إنه صوت بكاء ونحيب، من أين يأتي هذا الصوت، يبدو أنه من فناء بيتها، لا بد أن مكروها ما قد أصاب والدها أو والدتها، وقفت على حافة المكتب ونظرت من النافذة لأجد الرجل وزوجته في حالة يرثى لها، ماذا حدث وأين الفتاة لتخفف عن أبويها آلامهما وبكاءهما، أسرعت إلى أمي في المطبخ وأخبرتها ببكائهما، فقالت لي: «هذا طبيعي يا بني، فلقد تُوفيت ابنتهما الوحيدة منذ ثلاثة أيام، وهي التي كانت تقوم على رعايتهما».

«ماذا، توفيت منذ ثلاثة أيام ولم أعلم بذلك، كيف تموت جارتي ولا أرى معالم الحزن في المخيم على رحيلها، أين سرادق العزاء والمعزون؟ لماذا لم

يخبرني أحد بذلك؟».

ابتسمت أمي ابتسامة تحمل الكثير من الحزن والتهكم وقالت: «إنك قابع في صومعتك ومشغول بالامتحانات، فلم تعلم بموتها، لقد كانت تعاني منذ أكثر من سنتين من مرض السرطان الذي استفحل في جسدها الضعيف فلم تعد قادرة على مقاومته، كما أنها لم تتمكن من السفر بسبب الحصار، إن الموت أصبح شيئا عاديا وروتينا يوميا هنا في مخيمنا، كما أنهم فقراء يا بني، والفقير لا عزاء له!»، وعادت لتكمل أعمالها اليومية.

انسحبت بهدوء وتوجهت إلى حجرتي، وكلماتها ترن في أذني «الفقير لا عزاء له!» حالها حال الكثير من المهمشين في حياتنا، يأتون بلا ميعاد ويغادرون بلا ميعاد، لا يشعر بحضورهم وغيابهم أحد، لا أصدق ما حدث، كيف تُوفيت ولماذا، لماذا رحلت وتركتني وحيدا خلفها، من سوف يعتني بوالديها، من سوف يغني للدواجن والطيور، من سوف يغني لحبات المطر ولأوراق الشجر، من يمدني بشحنة التفاؤل اليومية، من يشحذ همتي للدراسة، من ومن ومن.

رحلت بعد أن تركت عبق القهوة العربية يفوح في كل الأرجاء، ما أسرعها من نهاية لفتاة كانت تحمل الشمس في كفيها، وتنسج بصوتها الشجي في قلبي ألف حكاية وحكاية.

# عاد لينتقم!

أخذ يغدو في حجرته الصغيرة، يـذهب ويعـود ولا يجـد مـا يفعلـه، شرارات الغضب تلفح وجهه الأسمر النحيل، يضرب كفا بكف ويتوعـد بـرد قاسٍ وسريع.

بدأت القصة عندما كان في زيارة أحد أقرانه لأول مرة، ذهب بعـد أن دعاه لزيارته في منزله حيث يجتمع بعض الأصدقاء من أجل التسلية وتمضية الوقت الذي يرفض أن يمضي.

جلس بعيدًا عنهم ثم بدأ يقترب أكثر فأكثر، وكان من حظه العاثر أن جلس بجانب ذلك الـشاب مفتـول العـضلات الـذي يـستعرضها بـين الحـين والآخر، ومن هنا بدأت المعركة بينه وبين ذلك الشاب، ثم انتقلت للآخرين، علت الصيحات، اشتبكت الأعين والأيدي، حاول كل شخص منهم الاستفراد بالآخر، مهاجمته ومحاولة مستميتة للقضاء عليـه، ولأن بطلنـا جديـد علـى هذا الوضع، خرج وهو الخاسر الوحيد من هذه المعركـة الـتي توعـد الجميـع بعودتها غدا وبكل قوة.

ماذا أفعل؟ كيف وأنا الشاب ذو الخامسة والعشرين أستطيع أن أتغلب

عليهم في هذه المعركة؟ ليس لديَّ سلاح أهاجم به، كما أنني قليل الخبرة، هذا إذا لم أكن عديمها أصلا، لا أستطيع طلب المساعدة من أحد، أو حتى اصطحاب أحد معارفي أو إخوتي لساندتي في هذه المعركة، لا بد من الاعتماد على نفسي، ونفسي فقط، ولكن ماذا أفعل؟ أذهب وأخسر المعركة، أم لا أذهب ويقال عني إني جبان مهزوم؟!

منذ أن تخرجت في الجامعة وأنا أجلس أمام باب بيتنا لعل وعسى أن يأتي الفرج ويجدني بانتظاره، فلا عمل لي ولا حتى فرصة تلوح في الأفق، ولا أستطيع الخوض في غمار الحياة؛ لأنه لا حياة هنا، لماذا ذهبت معهم، لماذا لم أبقَ جالسا أمام الباب منتظرًا الفرج! !

لن أستسلم هذه المرة، نعم سوف أذهب إلى أرض المعركة غدا وأنتقم من ذلك الشاب مفتول العضلات، ثم أعود أدراجي لأجلس أمام البيت مكملا مسيرة الانتظار.

ولكني ما زلت بحاجة إلى خطة أو سلاح أو حتى خبرة، سوف أحاول التوصل إلى خطة دقيقة وأستشير أخي الأكبر؛ لأن له باعا طويلا في هذا النوع من المعارك، وسوف نلتقي أيها المفتول غدا لأنتقم منك شر انتقام، نعم سوف أنتقم منك أنا الشاب الضعيف ذو الوجه الأسمر.

استيقظت صباح اليوم وأنا ما زلت أحلم بطريقة للانتصار في هذه

المعركة التي تبدأ عادة بعد صلاة العصر، راجعت خطتي ونصائح أخي وجهزت نفسي.

وقفت أمام باب صديقي وأخذت نفسا عميقاً وطرقت الباب طرقا يحمل الكثير من الثقة بالنفس والمزيد من العزيمة التي لا تقهر، ولجت إلى غرفة الجلوس حيث يوجد الجميع هناك ولمحت الشاب مفتول العضلات، فصرخت في الجميع صرخة زلزلت الغرفة وقلت:

لن يهزمني أحد في الشدَّة* بعد اليوم!!

---

* الشدة: أوراق اللعب (الكوتشينة).

# عفواً.. أنا لا أتكلم في السياسة!

رن جرس الهاتف بالأمس وكان على الطرف الآخر رجل قدّم نفسه على أنه من مؤسسة دراسات وأبحاث من رام الله، وعلى فكرة لفلسطينيي الضفة الغربية لكنة محببة للأذن، تشعر معها بأنهم لا يتكلمون بل يغنون (!) وشتان بين أصواتهم وأصوات الغزيين التي تتميز بالشدة والغلظة أحيانا، المهم أخبرني بأنهم يقومون بإجراء استطلاع حول أوضاع التعليم في غزة، وأنه يتم اختيار أرقام الهواتف بطريقة عشوائية، ترددت لحظات ثم قررت المشاركة، فطالما أحببت تعبئة الاستبيانات والمشاركة في استطلاعات الرأي منذ أن كنت صغيرة.

بدأ بسؤالي عن العملية التعليمية في غزة وعن المناهج الفلسطينية ومدى ملاءمتها للطلبة وهل تنمّي حس الإبداع لديهم، وهل هي جيدة أم سيئة، كما تطرق لدور المعلم وأخلاق الطلبة، ثم انتقل للسؤال عن أوضاع غزة السياسية والأمنية والاقتصادية، ومن يتحمل مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع، شعرت بالتوتر من صيغة الأسئلة التي بدأت تأخذ منحى آخر، فطالما كرهت الحديث في السياسة؛ لأنها لا تسبب إلا صداعا نصفيا يمكن أن يتطور ويصبح

نوعا من أنواع الصرع المزمن، والغريب في الأمر أني لم أستطع أن أعطي إجابات واضحة بما يتعلق بالوضع الحالي، ليس نوعا من التهرب من الإجابة ولكن لأني - ولأول مرة - أكتشف أني غير قادرة على تحديد الأسباب، وعلى من ألقي التهمة بسوء أوضاعنا الأمنية والاقتصادية، فكل طرف كان له دور بارز في ما آلت إليه الأوضاع، وكل طرف يتحمل المسؤولية مناصفة مع الطرف الآخر؛ لأنهم فضلوا المصالح الحزبية على المصلحة الوطنية، ولأنهم لم يحسبوا ضمن حسبتهم الشخصية الحزبية مصلحة المواطن الفلسطيني العادي، والذي ضاع بين حانة ومانة.

آخر سؤال كان يتعلق بالانتماء السياسي، فقد سألني ما هو الفصيل الذي أنتمي إليه؟

الغريب أنه لطالما عرفت في قرارة ذاتي ما هو فصيلي ولمن أنتمي، وإذا سُئلت عنه أرد بكل فخر واعتزاز بأني أنتمي لهذا الفصيل، ولكني لم أراجع ذاكرتي منذ وقت طويل، وبصراحة شديدة وجدت نفسي تائهة، غير قادرة على تحديده، فلقد تغيرت خارطتي كثيرا، تغيرت أفكاري ومبادئي، لقد حاولت أن أخرج من الصورة لكي أرى بوضوح، فمن الداخل لا تستطيع الرؤية جيدا، لكن عندما تخرج منها، تبدأ الصورة بالتجلي والوضوح، وتبدأ تكتشف كم كنت مغفلا ومخدوعا بشعارات واهمة واهية، لم تكن لدي

القناعة الكافية لأقول له ما هو فصيلي؟ واخترت إجابة قد تكون إجابة الضعفاء أو من لا رأي لهم، أو ربما تكون إجابة العقلاء، قلت له: «لا أنتمي لأي فصيل سياسي!».

كان هذا آخر سؤال، قام بشكري على وقتي الثمين (!) وأغلق سماعة الهاتف، وبقيت مذهولة لبعض الوقت، ولكن سرعان ما عدت إلى أرض الواقع، وبدأت في أعمالي المنزلية اليومية، فلقد اخترت منذ البداية أن لا أتكلم في السياسة!

# أحلام متناثرة

الحمد لله أن أتوبيس الجامعة قد فاتني ولم ألحق به، وهذا معناه أن أدلع نفسي بركوب سيارة هونداي أجرة حديثة، وهذا ترف أحُسد عليه بصراحة.

فلقد استيقظت متأخرة على غير عادتي وأنا المعروف عني النشاط الزائد والهمة العالية، ولكن ليلة الأمس كانت طويلة جدا علينا جميعًا في البيت، فأخي الكبير محمد يدرس سنة رابعة تجارة ويريد أن ينتقل إلى كلية الإعلام، وهذا ما أثار جنون وغضب والدي، بعد أن تكفل بمصاريف الجامعة لأربع سنوات وبعد أن شارفت اللقمة على الوصول إلى الفم، يأتي أخي وبكل بساطة ويطلب هذا الطلب منه، والله أعلم كيف وفر والدي الموظف البسيط تلك المبالغ الضخمة التي دفعها في تلك الجامعة لأخي المستهتر.

يدافع محمد عن طلبه الغريب والمقيت بأنه لم يحب كلية التجارة والمحاسبة ولا إدارة الأعمال، فهي ليست من هواياته ولكنه اضطر لدخولها نزولا عند رغبة والدي الذي كان يتمنى أن يرى ابنه البكر موظفا حكوميا رفيع المستوى وأنه، أي محمد، يتمنى الآن أن يصبح صحفيًا وكاتبا لامعًا مثل

كاتب صحفي شاب قرأ له كتابين بالصدفة البحتة!

بقينا طوال الليل بين مشاحنات ومطالبات وإرضاءات وانتكاسات ولم يقتنع والدي بأسباب محمد، ولم يتنازل محمد عن طلبه، وقال: إنه سوف يترك الجامعة نهائيًا إذا لم يتم الرضوخ لمطلبه القانوني والشرعي من وجهة نظره.

أشفقتُ على والدي ووالدتي التي بعد أكثر من خمس ساعات في المناقشات والمشاحنات لجأت إلى سلاحها الأخير وهو البكاء.. انخرطت في بكاء عميق وطويل، اهتزت له قلوبنا ولم تهتز شعرة واحدة في رأس محمد.

وفي نهاية المطاف، صرخ بنا والدي وطلب منا مغادرة غرفة نومه والتوجه إلى غرف نومنا، وأن النقاش قد انتهى بالرفض، وعلى محمد أن يختار بين إكمال دراسته في كلية التجارة أو الخروج من الجامعة والجلوس في البيت.

أيقظتني أمي في الصباح وأخبرتني أني قد تأخرت عن الجامعة، ارتديت ملابسي على عجل وتوجهت إلى نهاية الشارع دون أن أضع الزاد في فمي أو حتى أشرب كوب الشاي بالنعناع الذي أعدته أمي لي، وذلك حتى ألحق بالأتوبيس الأخير، ولكني لم أوفق في ذلك وأنا سعيدة جدا، فلي الحجة الوافية للركوب في سيارة، واليوم هو يوم سعدي وحظي لأني سوف

أركب في سيارة وأستمتع بمشاهدة شاطئ البحر لوحدي دون تكدس الطلبة فوق بعضهم البعض.

جلست في السيارة في المنتصف بجوار الشباك ومنيت نفسي بمشاهدة ممتعة لمنظر البحر في الصباح وطيور النورس تطير وتحط على الشاطئ والاستمتاع بالنسمات البحرية الباردة.. ما أجمل بحرك يا غزة!

جال ناظري بين الركاب، وكان جميعهم رجالا، منهم موظفون ومنهم طلبة، ربما البعض فاته الأتوبيس، وربما البعض الآخر كان من الطلبة الذين لم تطأ أقدامهم الأتوبيس أبدا، فملامحهم تدل على الغنى وأنهم أولاد ناس، ماذا قلتُ؟ وهل نحن لسنا من أولاد الناس؟ سحبتُ كلمتي ونهرتُ نفسي ووبختها على هذا التفكير الطبقي وعدت إلى الواقع.

منذ أن بدأت في الدراسة في الجامعة قبل سنتين، وأنا أشعر بالسعادة لمجرد فكرة دخولي إلى الجامعة، فوالدي الموظف البسيط لم يكن قادرا على دفع مصاريف الجامعة لي ولأخي الكبير محمد، ولكن والحمد لله تمكنت من تحقيق حلمي بفضل المنحة الأخوية التي حصلت عليها لأني التحقت بنفس جامعة أخي وبذلك وفرت على والدي نصف الرسوم، وهذا أثر بشكل إيجابي على علاقتي بوالدي فهو يصفني بأني أجدع من ألف شاب وأنه فخور بي ويتمنى أن يراني معلمة لغة إنجليزية مشهورة!

لم يكن يعنيني التخصص الذي سوف أدرسه بقدر ما كانت تـسكنني رغبة جامحة في دخول الجامعة وحصولي على لقب فتـاة جامعيـة، كـم كـان هذا اللقب يستهويني وبشدة.

على الرغم من صعوبة الدراسـة ووجـود الحـواجز الإسـرائيلية علـى امتداد قطاع غزة وتقسيمه إلى كنتونات صغيرة وضياع جل وقتنا على الحـاجز تحت رحمة جندي إسرائيلي لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمـره، يـتحكم في مواعيدنا وحتى في مصائرنا كأفراد أو جماعات، إلا أنـني أحـاول أن أسـتمتع بحياتي وبفترة دراستي في الجامعة.

خطرت على بالي صديقتي آمال، يبـدو أنهـا وصـلت الجامعـة قبلـي وهي في انتظاري الآن على بـاب الكافتيريـا، فهنـاك موعـدنا اليـومي لـشرب النسكافيه في كوب بلاستيك من ذلـك الطالـب الأشـقر اللافـت للنظـر بـشعره المجعد والذي يعمل في كافتيريا الجامعة.

فتحت كشكول المحاضرات وقرأت الجدول، أول محاضرة مع الدكتور مفيد أستاذ اللغويات، يا إلهي ما الذي يجبرني على تحمل صـفاقته وعجرفتـه غير المبررة تجاه الطلبة وكأنه يدرس لمجموعة من الصراصير أو الجرذان الذين لا يفقهون شيئا ولن يفقهوا شيئا في المـستقبل، دائمـا يتهمنـا بـأن جيلنـا جيـل فاسد لم يحسن آباؤنا تربيتنا، صلفه وجبروته جعلنا نكرهه حد العمى.

أما المحاضرة الثانية فهي مع دكتور إيهاب وهو مدرس المحادثة، أشعر بالغثيان عند رؤيته، فهو رجل قصير ذو كرش كبير وعقل صغير وضحكة نسائية غير طبيعية، إذا أغمضت عيني تصورت أن أمامي امرأة لعوبا من أفلام المقاولات التي انتشرت في الثمانينات من القرن الفائت.

بعد ذلك عندي ساعة فراغ، سوف أستغلها في الذهاب إلى مكتبة الجامعة للبحث عن نقد أدبي لرواية «الملك لير»، وأعود بسرعة إلى مبنى الكليات العلمية لأن عندي محاضرة هناك في مادة العقيدة وهي متطلب جامعي، ولذلك ندرسه مع باقي طلبة الجامعة في قاعة كبيرة جدا وإذا تأخرت لن أجد متسعا لي، وبالتالي سوف تضيع المحاضرة ولن أستطيع تعويضها، فأنا لا أفقه شيئا في العقيدة وأشعر بأنها مادة معقدة نوعًا ما، أتمنى أن أحصل على علامة جيدة بها حتى لا يتأثر معدلي التراكمي.

بعد ذلك تأتي آخر محاضرة في يومي هذا وهي مع دكتور فؤاد، والدكتور فؤاد هذا حكاية لوحده، فلا أعلم هل هو دكتور أم أستاذ أم معيد، كل ما أعرفه عنه أنه يحب السجع والهزار الثقيل السمج، فلا تعرف هل محاضرته في قواعد اللغة الإنجليزية أم في بحور الشعر العربي والعروض، كم اشتكينا منه لرئاسة القسم والذي كان ردها في نظرة رئيس القسم الدكتور إسماعيل حيث نظر إلينا نظرة اشمئزاز وقال بكل عنجهية وتعجرف: «ما

رأيكم أن نفصّل لكم أستاذا عند الخياط حتى ينال إعجابكم واستحسانكم؟».

ومن يومها وأنا لا أذهب إلى رئاسة القسم خوفا من عقاب ذلك الدكتور الذي يسألنا دائما عن أسمائنا ويلمح بأنه سوف يقتص منا في درجات المادة التي سوف يدرسها لنا، أقلعت عن فكرة الذهاب إليه مهما كلف الأمر، فأنا أريد أن أحصل على درجات جيدة وأتخرج بمعدل يتجاوز حدود الستين.

لكن أحيانا تنبت زهرة برية وسط المستنقع وكانت تلك الزهرة هو الدكتور نعيم، فلقد كان مثالا ونموذجا رائعا بكل المقاييس لأستاذ جامعي، يتعامل مع الطلبة برفق وطيبة وكأنهم إخوته الصغار، كان لا يتوانى عن مساعدتنا إذا تأخرنا أو فاتتنا بعض المحاضرات بسبب الحواجز والإغلاقات أو حتى الاجتياحات، وكان عونا لنا في أزماتنا وشكوتنا، وللأسف الدكتور نعيم لا يعطينا أي محاضرات في هذا الفصل، ربما في الفصل المقبل إن شاء الله.

أغلقت الكشكول وشردت ببصري إلى البحر ونوارسه البيضاء الجميلة، كم أرغب في أن أخلع حذائي وأمشي على غير هدى على رماله الصفراء التي تغريني بالتهور والطيش، كم أرغب في الركض كطفلة صغيرة دون أن يضايقني أحد بنظراته العابثة أو كلماته العبثية.

لماذا لم أخْلَقْ نورسا أو حتى سمكة في ذلك البحر، على الأقل لن يكون عندي أخ مزعج مثل محمد أو محاضرات أو التزامات أو مواعيد، لن أضطر

لتحمل قسوة الاحتلال ولا أعاني اكتئابا مزدوجا، لن أضطر لتدريس مادة العلوم لأختي أمل في الصف الرابع الابتدائي ولا شرح قواعد اللغة العربية لأمجد في الصف السادس، لن أضطر لمساعدة أمي في نشر الغسيل وإعداد الطعام، لن يضيع وقتي في مناقشات عائلية تافهة حول أحقية استخدام الكمبيوتر والإنترنت ودور من الآن، لن أتحمل استمرار انقطاع التيار الكهربائي ورفض والدي القاطع لشراء موتور كهرباء وذلك للمخاطر التي قد يسببها، لن أعاني الصداع المزمن ولا نوبات الاكتئاب من صوت أزيز الطائرات المزعج، ولن أضطر لسماع المزيد من أصوات الباعة المتجولين ولا صفاقة وعجرفة أساتذة الجامعة وغيره وغيره.

كم هي جميلة الحرية والتخلص من كل القيود التي تحيط بنا من كل جانب، كم تمنيت أن أكون عصفورا بلا ذاكرة!

أفقت من شرودي على صوت مطب صناعي جديد لم ينتبه له السائق وبسببه قفزتُ ليصطدم رأسي بسقف السيارة، ضحكت بصوتٍ عالٍ على الموقف المحرج ثم احمرَّت وجنتي خجلا، خاصة بعد أن التفت إلي الجميع وحدقوا بي لثوان قبل أن يعودوا لطبيعتهم سالمين.

قلت في نفسي: «ما بك يا أحلام هل ركوبك في سيارة هونداي أثَّر على سلامة قواكِ العقلية؟»، لو أني شربت كوب الشاي بالنعناع الذي أعدته أمي

لما تصرفت بهذه الصبيانية الطائشة، فشرب كوب الشاي يعدل الدماغ ويحسن من السلوك، ما زال صوت أمي يرن في أذني وأنا أهرول للخارج: «انتبهي لنفسك يا أحلام»، كم هي رقيقة أمي وحنونة، أشتاق لدفء حضنها من الآن ولشرب كوب الشاي بالنعناع من يديها، ولكني سوف أعوضها عند عودتي للمنزل بعد انتهاء يومي، سأطلب منها أن تعد كوبا آخر لي، وذلك بعد تناول وجبة الغداء، فلقد وعدتني أن تعد لنا محشي ورق العنب والكوسة اللذيذة، وأمي الحبيبة الماهرة لا تضاهيها طاهية لا في الشرق ولا في الغـ.....

*مذيعة النشرة الإخبارية:*

*"وردنا قبل قليل خبر عاجل من قطاع غزة؛ حيث قصفت طائرات F16 الإسرائيلية الحربية بصاروخ واحد على الأقل سيارة أجرة مدنية على طريق البحر الواصل بين مدينتي رفح وغزة، أسفر القصف عن مصرع جميع ركاب السيارة وحولهم إلى أشلاء متناثرة، يذكر أن عددهم سبعة من بينهم فتاة."*

# في صندوق شاحنة

وقفتُ على قارعة الطريق وبدأتُ أتلفت يمينا ويسارا لعلي أجد سيارة أو حافلة قريبة من الحاجز حتى أستقلها، بعد أن قرر سائق التاكسي – الذي قدمتُ معه من الجامعة – العودة إلى غزة بسبب إغلاق حاجز أبو هولي.

بدأت أسترجع شريط ذكرياتي مع هذا الحاجز اللعين، كنت في بداية السنة الثانية حين قررت إسرائيل تقسيم قطاع غزة إلى ثلاثة أقسام: الجنوب والوسطى والشمال، وانتشرت الحواجز العسكرية التي تفتح الطريق للعابرين لبضع دقائق ثم تغلقه لعدة ساعات، في البداية قررت التوقف عن الدراسة حتى تنتهي مشكلة الحواجز، ومرت الأيام والشهور، والحال كما هو.. توقفت عن إكمال دراستي الجامعية والحواجز بقيت كما هي.. وبناء على نصيحة بعض الصديقات قررّت العودة للدراسة رغبة في إنهائها بأسرع الطرق لكي أرتاح من همّ الحاجز.

بدأت أنظر في وجوه المارة لعلي أتعرف على وجه مألوف، يشاركني رحلتي اليومية عبر الحاجز، ولكنني لم أجد أحدا، نظرت بداخل بعض السيارات لعلي أجد متسعا لي بداخل إحداها، ولكن دون جدوى.. ثم لمحت

شاحنة بضائع قريبة جدا من الحاجز، ولـو فـتح الحـاجز سـوف تكـون أول العابرين، فقررت الركوب فيهـا، استأذنت مـن صـاحب الـشاحنة الـذي لم يمانع، واكتفى بالإشارة بيده للصندوق ثم أشاح وجهه بعيدًا عني، فهو علـى ما يبدو قد تعود علـى مثـل هـذه المواقـف، ركبـت في صـندوق الـشاحنة وقـد شعرت بالخجل والارتباك، فهذه هي أول مرة أركب فيهـا شـاحنة بـضائع، أقصد صندوق شاحنة بضائع!

على ما يبدو أني سوف أحمل الكثير من الذكريات التي سوف أرويها لأحفادي على سرير الشيخوخة، عن التجـارب الكـثيرة الـتي خـضتها عـبر مشوار حياتي الطويل، نظرت بطرف عيني أتفحص راكبي الشاحنة وقد كـان بها رجل وامرأته ووالدته المسنة وأطفاله الأربعة، وكان هناك شاب يقف مع فتاتين توأم، عرفت فيما بعد أن إحداهما هي خطيبته، وكانـت هنـاك امـرأة ثلاثينيـة تقبـع في الزاويـة وتحمـل في حـضنها طفـلا رضـيعا وآخـر يجلـس القرفصاء أمامها، بـدأ الجميـع ينظـرون ويتفحـصون الراكبـة الجديـدة الـتي جاءت لتقاسمهم هذا الصندوق الذي بالكاد يتسع لنصف عددهم، ثم ما لبثـوا أن انشغلوا بمواضيعهم الخاصة وتركوني وشأني.

انتظرنا لأكثر من أربع ساعات، علـى أمـل أن يفـتح الحـاجز لكـن دون جدوى، بدأ البعض يعود أدراجه إلى غزة، فهناك من هو أصلا من سـكان غـزة،

وبالتالي فإن مشواره للجنوب قد تأجل بسبب الإغلاق، وهناك من له أقـارب في غزة، فقرر الذهاب إليهم بدلا من تكبد العناء في انتظار فـتح الحـاجز، وبـدأت الحركة تخف، وبدأتُ أشعر بالتعب، ولكني لا أستطيع الجلوس علـى أرضـية الشاحنة؛ لأنه لا متسع للجلوس بعد أن غرق الأطفال في النوم.

من حسن حظنا أن سائق الشاحنة مـن الجنـوب، وأنــه سـوف يبقـى حتى النهاية في انتظار فتح الحاجز ولن يفكر في العودة إلى غزة كالآخرين..

أخرجتُ رأسي من الشاحنة ونظرتُ للمـارة والسيارات، كـان هنـاك الكثير من الأشخاص الذين قرروا البقاء على الحاجز، كم رغبـت في الترجـل من الشاحنة حتى أمشي قدمي قليلا فلقد أصابهما التنميـل مـن كثـرة وقفـتي عليهما، ولكني خفت أن يحتل شخص آخر مكاني في الشاحنة وأفقـد وسـيلة مواصلاتي الوحيدة، فقررت أن أتحمل وأصبر لعل وعسى.

نادى الجندي الإسرائيلي المختبئ خلف زجاج القولبة* على السائقين معلنًا أنه سوف يفتح الحاجز، وفجأة بدأ الغبار يلفنا جميعًا من هجوم الناس على السيارات والشاحنات أملا في إيجاد متـسع لهـم فيهـا، وطبعـا مـن دون استئذان ولا يحزنون، بل بالعكس تحول الجميع إلى وحوش كاسرة لا تـرى

* القولبة: برج المراقبة الإسرائيلي

أمامها، البعض يحشر نفسه داخل سيارة مكتظة أصلا، والبعض الآخر يتشبث إما بسيارة أو أتوبيس أو شاحنة، يركبون على سطحها ويتشبثون بمؤخراتها، أسرع الرجل بإغلاق باب الشاحنة من الداخل، خوفا من أن تدوس الأقدام الهائجة أطفاله النائمين على أرضية الشاحنة.

ولم نعد نرى شيئًا، عم الظلام صندوق الشاحنة، أمسكتُ بالباب لكي لا أقع فوق رؤوس الأطفال النيام، الذين لم يستيقظوا على أصوات الهرج والمرج بالخارج، يبدو عليهم التعب والإرهاق من طول رحلتهم، وتساءلت في نفسي: ما الذي دفع والدهم لتكبيدهم هذا العناء والشقاء، ولماذا لم يتركهم ينعمون بالراحة والسكينة في البيت.

أشعل الشاب الذي يرافق الفتاتين كشافا صغيرا كان يحمله في حقيبته، الآن تذكرت وجودهم معنا في الشاحنة، منذ بداية الرحلة وهم يتحدثون مع بعضهم البعض بالهمس، يضحكون ويبتسمون وكأننا لسنا على حاجز أو في ضائقة، كأنهم يقفون في ساحة الجندي المجهول أو على شاطئ البحر، لم أشعر بارتباكهم ولا قلقهم من وضعهم داخل الصندوق، بل على العكس شعرت بأنهم في قمة السعادة والراحة النفسية، شعرت بالغيرة والحسد، فلو كان معي على الأقل شخص أعرفه لكان اختلف الوضع، ربما تبادلت الحديث معه ونسيت ما نحن فيه، وأيقنت بأنه أشعل ذلك الكشاف

من أجل فتاتيه وليس من أجلنا نحن، فهم كانوا في عالم خاص بهم.

المهم أصبحنا بفضل ذلك الكشاف نرى وجوه بعضنا البعض، شعرنا من صوت أبواق السيارات بأنها بدأت في التحرك وأن السائقين يحثون بعضهم البعض للإسراع قبل أن يغلق الحاجز من جديد.

كان هناك بعض الأصوات العالية بالخارج مع طرقات عنيفة على باب الشاحنة، ولكن الرجل رفض أن يفتح الباب لأحد، لم يعد هناك متسع بالداخل، للحظة واحدة شعرت بأنانية ذلك الرجل، ولكني سرعان ما عدلت عن رأيي، فهو محق لو سمح لهم بالدخول، لداسوا الأطفال الصغار ولوجدنا أكثر من سبعين شخصا بالداخل.

حاول أن يبعد نظره ويتجاهل الطرق العنيف على الباب، بعد أن عدل من وضع نظارته الطبية فوق عينيه، تبادل نظرات سريعة مع والدته التي بدورها أطرقت برأسها إلى الأرض.

بدأت الشاحنة تسير بسرعة غير منتظمة لا هي سريعة ولا بطيئة ولكنها مضطربة، يبدو أن الزحام كان شديدا بالخارج، لدرجة أعجزت السائق عن التحكم في شاحنته، حاولتُ التشبث أكثر بالباب حتى لا أفقد توازني وأقع.

سرنا مسافة لم أستطع تحديدها إذا كانت طويلة أم قصيرة، ولكن أستطيع أن أجزم بأننا قد قطعنا نصف المسافة وأننا أصبحنا داخل الحلابة*، توقفت الشاحنة وانتظرنا أن تعاود السير مرة أخرى ولكن هيهات، مرت الدقائق ثقيلة وكئيبة، الجو بالداخل خانق وقاتل، ولا نعلم ما يحدث بالخارج وما هو سبب التوقف، بدأنا نتصبب عرقا ويكاد الأكسجين أن ينفد، انتظرنا وانتظرنا وبدأ القلق والتوتر ينتقل إلينا بالتدريج، حتى ذلك الشاب ذو الفتاتين بدأ ينتبه لتوقف الشاحنة بعد أن انشغلت فتاتاه بالحديث مع تلك المرأة القابعة في الزاوية التي أخذت في سؤالهما عن الشبه الكبير وكيف يتم التمييز بينهما، كانت محاولة يائسة من تلك المرأة لتشغل نفسها عن التفكير في وضعنا المأساوي داخل علبة الصفيح المسماة بالصندوق، وعلمتُ أن إحدى الفتاتين هي خطيبة ذلك الشاب وأنهم يستعدون لإتمام الزواج قريبا، الآن عرفت سبب ضحكاتهم وعدم اكتراثهم!

بدأت أشعر بالاختناق وكأن حبلا ما التف حول عنقي، يمنع عني الأكسجين، شعرت بأن علبة الصفيح تنكمش وتنكمش، حتى أصبحت كفكي تمساح مفترس يطبقان علي وحدي، بدأت أنظر في الوجوه التي حولي، وشعرت بأنها لم تعد هي نفس الوجوه، اختلت الصورة أمامي وأصبحتْ

---

* الحلابة: ممر بين حاجزين إسرائيليين يتم تفتيش السيارات بينهما.

ملامحهم تختلط وتختلف مع بعضها البعض.

ازداد توتري، وضيقٌ في صدري أعلن عن ولادته، بدأتْ أنفاسي تتلاحق بصوتٍ مسموع، وأصبحت أسحب الهواء بواسطة فمي وليس أنفي، ومن يراني يظن بأني أطالع في الروح!

طلبتُ من الرجل الواقف أمام الباب بأن يفتحه قليلا، حتى يجدد الهواء داخل الشاحنة ولكنه رفض، قال: إن هناك خطورة من فتح الباب، ربما ظنوا أننا فدائيون فيطلقون النار علينا، اصبري وسوف تتحرك الشاحنة قريبا، فلا داعي لتوقيفنا في منتصف الطريق.

صمتُ قليلا ولكني لم أعد أحتمل، أشعر بأن رئتي سوف تنفجر من قلة الأكسجين، وما زالت الشاحنة تنكمش أكثر فأكثر.

قلت له إني لم أعد أحتمل الصبر أكثر من هذا، أرجوك أن تفتح الباب، ولكنه تشبث برأيه ورفض، اتهمته بالخوف والجبن، فقال محاولاً نفي التهمة عنه: إنه لا يخاف على نفسه ولكن في الشاحنة يوجد أطفال أبرياء، وإنه يخاف أن يصيبهم مكروه.

تحجرت الدموع في عيني، خجلت أن أسمح لها بالعبور للخارج فأنا لم أتعود البكاء أمام غرباء جمعتني بهم الصدفة البحتة في هذا الصندوق، ولم تكن تصرفاتي يوما ما صبيانية كما ينظر إلي الجميع داخل الشاحنة، لقد

كنتُ أختنق وهم لا يشعرون بي.

زادتْ توسلاتي لـه ولكـن دون فائـدة، أشـاح ببـصره عـني حتـى لا يضعف أمامي.

بدأ الجميع يطلب مني الهـدوء حتـى لا أزيـد مـن تـوترهم وحـنقهم ولكي لا أوقظ الصغار، صرخت بهم وما أدراكم بأنهم نيام، ربما اختنقوا مـن قلة الأكسجين وماتوا وأنتم لا تشعرون، نظرت لي المرأة المسنة بنظـرة غـضب وعتاب، فكيف أذكر الصغار بفأل سيئ، ووضعت زوجة الرجل يدها بحركة مقصودة ولكنها موارية على أجساد صغارها لتتأكد بأنهم مـا زالـوا علـى قيـد الحياة.

«أستحلفك بالله أن تفتح الباب»، قلتها بنوع من الرجاء ومن دون حدة أو صراخ، فلم يكترث واستمر في تجاهلي وكأنه لم يسمعني.

عدتُ للصراخ مجددا، فالحبـل بـدأ يـشتد ويـشتد والـصندوق يـضيق ويضيق، صرخت به «افتح الباب وأنزلني ثم أغلقه مرة أخرى».

«هل تريدين أن تموتي؟»..

«أموت برصاص عدوي خير لي من أن أموت اختناقا في علبـة الـصفيح هذه!».

قلتها وكنت جادة بكل كلمة نطقت بها.

نظر إليّ الرجلُ مطولاً وشعر بأني مصممة وجادة في كلامي، فقال لي:

«حسنا، سوف أفتح الباب قليلا ليدخل الهواء ثم أعود فأغلقه مرة ثانية» كان يتحدث معي ويشير بإصبعه لي، يحذرني من فعل طائش قد أقوم به.

نظرتْ إليه زوجته باستغراب وواجهته بنظرات فيها نوع من الاتهام بأنه قد ضعف أمامي، تجاهل نظراتها وفتح الباب، فتسللت نسمات الهواء الباردة تحمل في طياتها الكثير والكثير من الأكسجين للمتلهفة التي هي أنا، وبدأ الحبل يتراخى حول عنقي، وبدأتْ علبة الصفيح تبتعد عني وتكبر شيئا فشيئا لتعود لحجمها الطبيعي، واصلتُ التنفس من فمي وسحبت الكثير من الهواء للداخل، فعادت رئتي تعمل بشكل طبيعي، شكرت الرجل كثيرا ودعوت له بأن يحفظ له أطفاله، وأن يعودوا بالسلامة لبيتهم، سألني هل أشعر بتحسن؟ أخبرته نعم كثيرا وشكرته مرة أخرى.

بدأ الجميع يشعر براحة، لا أعرف مصدرها، هل هي نسمات الهواء العليل التي دخلت للشاحنة أم هدوئي وتوقفي عن الصراخ.

بعد مرور أكثر من ساعة، خرجنا من الحلابة إلى الجانب الآخر من

الحاجز ولقد تنفسنا الصعداء، توقفت الشاحنة على جانب الطريق، ونزلنا جميعًا منها، أيقظ الرجل أطفاله وحملهم هو وزوجته وتبعتهم والدته المسنة، مشى بعض خطوات ثم التفت إلي وقال لي: «سامحيني» لم أرد عليه، واكتفيت بابتسامة شكر وعرفان.

غادرت المرأة الأخرى الشاحنة وهي تحمل رضيعها في حضنها وتجر خلفها طفلها الآخر، ثم نزل الشاب وساعد الفتاتين على الخروج وعلت ضحكاتهم، وكأنهم عادوا للتو من رحلة مشوقة استمتعوا بكل تفاصيلها، وبقيتُ وحيدة، مسحت بكف يدي دمعة سالت خلسة على خدي ومشيت وكأني أتعلم المشي حديثا، لقد تعقّدت أرجلي بسبب الوقوف المستمر والطويل داخل الشاحنة، يا الله نسيت في غمرة الأحداث أن أشكر سائق الشاحنة الذي غادر سريعًا إلى وجهته بعد أن قال للجميع «الحمد لله على السلامة».

أشرت بيدي إلى إحدى السيارات التي توقفت بدورها وحملتني إلى بيتي، وطوال الطريق وأنا أقسم بأغلظ الأيمان بأني لن أركب داخل شاحنة مهما حدث أثناء ذهابي أو عودتي من الجامعة، هذا إذا ذهبت – أصلا – مرة أخرى إلى الجامعة بعد أحداث اليوم.

وصلتُ للبيت وارتميتُ في حضن والدتي وأجهشتُ بالبكاء، أخبرتها بما حدث بالتفصيل الممل، وأعربت هي عن شعورها بالخوف والقلق بسبب

تأخر عودتي.

أعدت لي العشاء وكوبا من الشاي، وطلبت مني أن أخلد إلى النوم كي أرتاح من عناء يومي الطويل، استلقيت على سريري وراجعت شريط الأحداث التي مررت بها اليوم، وأيقنت بأني مصابة بمرض فوبيا الأماكن المغلقة!

في الصباح الباكر ارتديت ملابسي على عجل وتهيأت للذهاب إلى الجامعة!!

وقفت أمام المرآة وابتسمت ابتسامة شاحبة، وأقسمت بأغلظ الأيمان أني لن أركب في شاحنة أو في صندوقها مرة أخرى مهما حدث.

# نطقَ صمتًا

جلس عُمر على سريره وأمسك بيده قلمه الجديد ودفتره المزركش، وبدأ يخط بيديه الصغيرتين أولى كلماته في هذا الدفتر.

ارتعشت يده والقلم، ولم يعرف كيف يبدأ ومن أين، هل يكتب عما حدث معه اليوم في المدرسة أم يتخطاه لما بعد ذلك مما حدث معه في طريق عودته، أم يكتب عن عمه فؤاد الذي وجده جالسا في حجرة الضيوف ولا يفارقها منذ الصباح ويشرب القهوة تلو القهوة، إنه ينتظر شيئا ما هناك.

لا أعرف ما الذي يحدث معي، لا.. أنا أعرف ما يحدث معي، على الرغم من صغر سني وحداثتي، إلا أنني أعي جيدًا كل ما يدور من خفايا وألاعيب من حولي.

بدأت أستوعب وأفهم كل شيء منذ لحظة استشهاد والدي، كنت في العاشرة من عمري وكنت عائدا من المدرسة، فوجئت بجيراننا وأقاربنا جميعهم يجلسون أمام بيتنا متجهمين وبعضهم بلا ملامح.

اقترب مني عمي فؤاد وضمني إلى صدره بقوة كادت تختلط عظامي بعضها ببعض، لم أشعر بالعطف بل بقسوة الحضن.

عرفتُ أن مصابا ما قد حدث لأحد أفراد عـائلتي، بـدأ عمـي في سـرد مقدمة طويلة عن الموت والجنـة وأنـي أصـبحت رجـلاً ومـسئولا عـن والـدتي وإخـوتي البنـات، كيـف أصـبحتُ رجـلاً بـين ليلـة وضـحاها؟ ألم يـضربني بالأمس نفس العم وقال لي إني ما زلت طفلا وإنه يجب ألا أتـدخل في شـئون الكبار ولا أجلس معهم! كل هذا بسبب دفاعي عـن ابنتـه صـفية ذات الـستة عشر ربيعا والذي أراد أن يزوجها لابن المختار غصبا عنها.

أخبرني عمي أن والدي استشهد وهـو يـدافع عـن وطننـا في معركتنـا الخالدة ضد أعدائنا اليهود ممن اغتصبوا أرضنا وشردوا أهلنا.

كان يكفيني أن يقول لي: إن والدي قد مات، وإن الحياة قـد تغـيرت للأبد، هرعت إلى الداخل ووجدت أمي شـاحبة اللـون تبكـي أحيانـا وتـصرخ أحيانا أخرى، لم تقدر على تقبل الفاجعة في والدي، وقفت أختي علا بجانب باب المطبخ، تنظر بذهول ولا تستوعب شيئًا، بينما جلـست عليـة أمـام أمـي وهي تبكي ولا تعرف لم تبكي؟ يكفيها دموع أمي لتبدأ في البكاء بالعدوى.

أما عايدة وهي أختي الكبرى، فكانت في المطبخ تحضر لأمي كوبا مـن الماء، كانت متماسكة نوعًا ما.

أما أنا، فقد أحسست بالضياع والوحدة فجأة على الرغم من وجود هذا الكم الهائل من النسوة حول أمـي وفي كـل ركـن مـن أركـان منزلنـا الـصغير،

حاولت الوصول إلى أمي ولكني لم أستطع، أريد أن أضمها إلى حضني وأقول لها إني هنا.. لا أعلم هل أنا بحاجة إلى حضنها أم هي التي تحتاج إلى حضني؟

حدث كل شيء بسرعة، جاء جثمان والدي وشيعناه بالدموع والقبلات، جلستُ بجوار عمي في بيت العزاء، أستقبل المعزين وكلمات كثيرة لم أفهم مكنونها، انتهت تلك الأيام الثلاثة بسرعة.

عدت إلى المدرسة ولكن روحي كانت مبعثرة، والصورة أمامي مشوشة، أسرح بخيالي كثيرا ولا أفيق إلا على جرس انتهاء الدوام، أعود إلى البيت بخطى مثقلة، أتناول طعام الغداء مع أمي وإخوتي دون أن ننبس ببنت شفة.

ثم أذهب إلى القيلولة وأستيقظ وأقوم بكتابة فروضي المنزلية، لم نعد نتكلم كثيرا، ولا نشاهد التلفاز، لم تعد ضحكاتنا مسموعة في أرجاء المنزل، وكأن والدي قبل رحيله انتزع منا قدرتنا على الكلام وعلى الضحك.

علا وعلية تجلسان أغلب الوقت تلعبان بالمكعبات والدمى، أما عايدة فتحاول جاهدة الدراسة فهذه هي سنتها الأخيرة في المرحلة الإعدادية، وأنا أقضي أغلب وقتي في حجرتي الصغيرة، أكتب قليلا وأفكر كثيرا.

مرت الأيام بسرعة ومرت الأشهر بسرعة أكبر، بدأت ألاحظ تغيرا

ملحوظا في سلوك أمي، أصبحت تخرج من البيت كثيرا وتعود لنا بملابس وألعاب جديدة، قامت بدهان البيت وشراء مائدة طعام خشبية، واشترت طقم كنب جديدا لحجرة الضيوف أيضا، وقد علمت فيما بعد أن جهات حكومية تهتم بأطفال الشهداء وتقوم برعايتهم قد تكفلت برعايتنا كوننا أيتاما، فهناك راتب شهري تتقاضاه أمي، كما أنها تحصل على معونات شهرية من طحين وسكر وزيت وكل ما يلزمها من حاجيات المطبخ، كما أن هناك أثرياء قاموا بكفل إخوتي التوأم علا وعلية ويقومون بالإنفاق عليهما وتوفير مستلزماتهما، وعلمتُ أيضا أن رجلاً ثريا من الكويت قد كفلني أنا الآخر ويرسل لي باستمرار الهدايا والنقود لكوني يتيم الأب.

تغيرت حياتنا كثيرا بعد وفاة والدي، لا أستطيع أن أقول: إنها للأفضل ولكنها تغيرت بشكل أو بآخر.

إن الآخرين ينظرون إلينا نظرة حسد لما نحن فيه من خير وفير بعد وفاة والدي، وقد نسوا أننا فقدنا الأب الذي لن يعوضنا مالٌ ولا طعام عن عطفه ومحبته، وعن أبوته.

كان يومي عصيبا في المدرسة وذلك بعد أن قام المدرس الجديد بمعاقبتي لأني لم أجب على أسئلة الامتحان كما يجب، وطلب مني أن أحضر والدي «ولي أمري» غدا إلى المدرسة، لم يسعفني الوقت حتى أقول له: إن

والدي قد مات، فقد تكفل زملائي بالصف بالشرح المفصل له:

«لقد توفي والده منذ فترة ويعيش مع والدته وأخواته الثلاث، وقد كفلهم ثري عربي ينفق عليهم ويقوم على رعايتهم وتوفير احتياجاتهم».

«اغفر له يا أستاذ، فهو يتيم!»

«لم يعد يجد الوقت الكافي للقراءة فهو مشغول باللعب على دراجته الجديدة».

«سامحه هذه المرة، فلقد أثرت نفسيته السيئة على تحصيله الدراسي».

«أرسل في طلب والدته، فلقد أفسده الدلال وكثرة المال!».

«يا للمسكين!»..

كل من كان في الفصل تحدث وقال كلمته إلا أنا، بدأت مشاعر التعاطف تظهر على ملامح الأستاذ، أما أنا فملامحي الجليدية طفت على سطح وجهي، وفي الداخل كانت براكين الغضب والحنق تثور وتثور.

غادرتُ المدرسة سريعًا فلم أعد أطيق تلك المسرحية التي يمارسها زملائي كل يوم أمامي ومن خلفي، كم أتمنى أن يتم نقلي إلى مدرسة جديدة لا يعرفني فيها أحد ولا أعرف فيها أحدا أيضا.

وفي طريق عودتي، قابلني أبو العبد صاحب الدكان، وطلب مني أن أقول لوالدتي عن الدين المتراكم علينا وأنه يجب أن ندفعه في القريب العاجل، خاصة أنه يعلم جيدًا أن مصادر دخلنا عديدة وكثيرة وأنه يدخل علينا مبلغ كبير كل شهر من الحكومة ووزارة الشئون الاجتماعية بالإضافة إلى نقود الكفلاء.

كان أسلوبه مستفزا وطريقته في الكلام بغيضة، تنم عن حقد وحسد لما نحن فيه!

عندما دلفت إلى البيت وجدتُ عمي فؤاد جالسا في حجرة الضيوف يشرب القهوة وفي يده سيجارة، وكانت أمي في المطبخ تعد طعام الغداء، غير آبهة به ولا بحضوره وكأنه صار لزاما علينا استقباله يوميا في البيت، نظرت إلى أمي متسائلا، فأشاحت بصرها عني، ولكني أعلم جيدًا ماذا يريد بالضبط؟

منذ وفاة والدي وعمي يطارد أمي في كل مكان، يريد أن يتزوجها على الرغم من كونه متزوجا وعنده من الأبناء عشرة، ولكنه يطمع في الخير الوفير الذي نعيش فيه بعد وفاة والدي، يريد أن يستولي على البيت وعلى معاش والدي وعلى كل شيء، حتى والدتي (زوجة أخيه) يريد أن يستولي عليها هي الأخرى.

يتحجج بنا وأنه يريد أن يقوم على رعايتنا وحفظنا وإسكات ألسنة الناس عن والدتي الجميلة والصغيرة في السن، كما أنه لا يريد أن يدخل رجل غريب بيت أخيه وأنه أحق بنا وبوالدتنا، لم تنطل حججه الواهية علينا ولا على أمي التي رفضت طلبه وصدته عشرات المرات، إلا أنه ما زال يحاول ويحاول، وأمي ما زالت ترفض وتصد، يبدو أن عمي قد نسي أو تناسى أنه كان يضربنا في حياة والدي بسبب ومن دون سبب، وكان يوجه السباب لأمي، وأنه لم يكن راضيًا عن زواجها بأبي، أما الآن فإنه يحاول وبشتى الطرق أن يرسم صورة الحمل الوديع، والأب الحاني، والعم العطوف، والرجل الشهم.

هرعت إلى حجرتي وأغلقت بابها عليَّ، وانكمشت في الزاوية وبكيت لأول مرة منذ رحيل والدي، ليذهب المال والنعيم إلى الجحيم، لا أريد ملابس جديدة ولا ألعابا، ولا تلك الدراجة أيضا، أريد والدي فقط.. أريد أبي.. أريد أن نعود كما كنا عائلة صغيرة وسعيدة، جميعهم ينظرون إلينا وكأن المال والثراء يغنينا عن والدي، لقد حُرمت من كلمة «بابا» تخرج من فمي، حُرمت من لمسة عطف ويد حنونة تربت على كتفي، حُرمت من توقيع ولي الأمر على شهاداتي وأوراقي، حُرمت من صحبة والدي في صلاة العيد، من مرافقته إلى السوق لشراء الملابس الجديدة، من الذهاب معه إلى البحر أو حتى زيارة الأقارب.

حُرمت من كل شيء والناس تنظر إلى المال الذي بين أيدينا، ليأخذوه

ويعيدوا لي أبي إذا استطاعوا.

هؤلاء الناس لا يهتمون إلا بالظاهر من الأمر، أغراهم المال فعميت عيونهم عن الألم الذي نعانيه أنا ووالدتي وإخوتي البنات بغياب الزوج والأب.

سوف أكتب وأكتب، ربما خفف عني ولو قليلا إخراج بعض مشاعري على الورق، كوني لا أستطيع مشاركة الآخرين أحاسيسي وانفعالاتي، هذا ما أخبرتني به الطبيبة النفسية التي أزورها مرتين أسبوعيًّا بعد أن فقدت قدرتي على النطق منذ رحيل والدي!

## ممنوع من الحج

«اهدأ يا أبا صالح، لا تفعل هذا بنفسك، هذا قسمتنا ونصيبنا، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» هكذا بدأت أم صالح في محاولة مستميتة منها لتهدئة زوجها بعد صدور قرار بمنع حجاج غزة من الحج هذا العام.

أكثر من خمس محاولات فاشلة على مدار خمس سنوات متتالية، تقدم أبو صالح بطلب للسماح له ولزوجته بالحج، ولكنه في كل مرة يتم رفضه لأسباب واهية، مرة بحجة أن هذه السنة لأهالي الشهداء، ومرة أخرى لأهالي الأسرى، ومرة لدعاة الوحدة الوطنية.. وهكذا.

وعندما وصلت اللقمة للفم وتم قبوله للحج هذا العام، يمنعونه من السفر بحجة خلافات حول أحقية الحج، فهل هي من نصيب أنصار هذا الحزب أم ذاك، وبين حانة ومانة ضاعت لحانا.

أجهش أبو صالح بالبكاء، وكأنه طفل حرم من والديه أو حتى عوقب بعدم الذهاب إلى الرحلة المدرسية.

سارعت أم صالح باحتضان رأس زوجها وقالت: «لا تبكِ يا زوجي العزيز، فداك أمي وأبي، أربعون عاما يا أبا صالح قضيتها معك على الحلوة

والمرة، كم عانينا معا وتحملنا المصاعب والأهوال، كم مرت علينا ليالٍ قاسية سوداء، وكنت قويا لا تحني هامتك لأحد، ولم أرك تذرف دمعة واحدة من قبل، ما الذي حدث، ما الذي تغير؟»..

«اعذريني يا رفيقة دربي، فلم أعد أحتمل ما يحدث معي في خريف عمري، لقد أجهضوا حلمي الذي عشت أحلم به ليلاً ونهارًا، لقد قضيت حياتي كلها في طاعة الله وعبادته، وربيت أبنائي أحسن تربية، وقمت بجميع واجباتي تجاههم، ودعوت الله أن يكتب لي حسن الخاتمة، وزيارة مكة والمدينة والطواف حول الكعبة وزيارة قبر الرسول عليه صلوات ربي وتسليمه.

من هم حتى يحرموني من زيارة بيت الله الحرام؟ من هم حتى يقرروا متى أذهب ومتى لا أذهب؟ هل ذنبي أني لست أبا لشهيد أو أسير؟ هل ذنبي أني مواطن غزي عادي، لا أنتمي لهذا الحزب أو ذاك؟».

تلاحقت أنفاسه واختنقت بعبرات تأبى إلا أن تسقط، وبتنهيدة لها أول وليس لها آخر، قال: «إنما أشكو حزني وبثي إلى الله.. إنما أشكو حزني وبثي إلى الله».

صمتت أم صالح فلم يعد الكلام له معنى، فهل تواسيه أم تواسي نفسها، أما أبو صالح فقد شخّص بصره في السماء، ولم يعد يسمع إلا صدى صوته.. يقول: «إنما أشكو حزني وبثي إلى الله»..

# فريسة

سارت ببطء شديد وتكاسل.. اليوم هو أول يوم لهـا في الجامعـة بعـد انتهاء إجازة العيد.. سوف تحمل كتبهـا مـن جديـد وتتوجـه إلى المـدرجات لتكمل فصلها الدراسي الطويل والمل.. قابلت في طريقها صـديقتها أمـل الـتي قابلتها بابتسامة عريضة وساخرة..

(كالعادة.. كسل وتثاؤب في صباح كل يوم.. ألم تشبعي من النوم؟).

قبلتها على وجنتيها واستدركت قائلة:

(ما بالك؟ لم هذه التكشيرة وكل هذا التجهم؟).

(لستُ على مـا يـرام.. دعينـا نـذهب لاحتـساء النـسكافيه قبـل بـدء المحاضرة الأولى).

اعتادت مُنى أن ترافق صديقتها أمل صباح كل يوم لـشرب النـسكافيه في كافتيريا الجامعة.. تجلسان لبضع دقـائق.. تتحـدثان عـن أحـداث الأمـس ورواية كانت قد استلفتها منها.. وبعض الأحاديث الجانبية العابرة.. مـوال كل يوم!

كان صباح اليوم مختلفا.. لأن منى تشعر بالاكتئاب والملل من الجامعة وكانت تتمنى أن تطول إجازة العيد وتمتد إلى شهرين على الأقل.

لم ترغب بالعودة إلى الجامعة ولكن يتوجب عليها ذلك، فهذه هي سنتها الأخيرة وهي على وشك الانتهاء منها.. مشكلة منى أنها لا تحب الجامعة ولا الدراسة، وعلى الرغم من ذلك لا تريد أن تنهي دراستها وتجلس في البيت.. فهذا هو السيناريو المتوقع لكل خريج جامعة طالما ليس له واسطة يستطيع من خلالها أن يشغل وظيفة حكومية أو حتى خاصة.

تنظر منى حولها وترى مئات الطلبة يتجولون بحرم الجامعة.. بعضهم يتحدث والآخر يضحك.. ومنهم من هو متجهم مثلها.. ومنهم من لا يهتم إلا بمعاكسة الطالبات وإلقاء النكات.. ومنهم من يسرع للحاق بمحاضرته.. وآخر يعلق ملصقا كبيرا على أحد الجدران يبدو أنه لأحد الشهداء..

(لا يوجد شيء جديد)، قالتها منى وأتبعتها بتنهيدة طويلة ونظرات تائهة حزينة.

(وما هو الجديد الذي ترغبين فيه؟)، تساءلت أمل.

(شيء يخرجني من حالة الاكتئاب التي أنا بها..).

(أمم.. شيء جديد.. ما رأيك لو نشرب اليوم كابتشينو بدلا من النسكافيه؟).

(هل هذا هو جديدك؟ شكرا على المساعدة)، قالتها منى بنوع من الاستهزاء.

تحاول منى استرجاع بداية اكتئابها ولكنها لا تعلم.. كل ما يحيط بها يدعوها للاكتئاب.. الحواجز الإسرائيلية ومضايقة جنود الاحتلال لهم.. القصف المستمر والاغتيالات.. الاجتياحات والتوغلات الليلية.. وأصوات المدافع والزنانات.. وأخيرا استشهاد جارهم الدكتور الجامعي هو وزوجته وأطفاله الخمسة بعد محاولة فاشلة لطائرات إف 16 في اغتيال قائد المقاومة الشهير الذي قيل إنه كان مختبئا في منزل ذلك الدكتور.. وكيف شعرت ليلتها بأن زلزالا شديدا قد هزها من الداخل حتى كاد البيت يقع على رؤوسهم من شدة القصف، وكيف أن نوافذ البيت الزجاجية قد تكسرت جميعها.

كل ما يحيط بها قد حاك مؤامرة هذه المرة من جميع الاتجاهات لتسقط فريسة سهلة للاكتئاب.

على الرغم من أن صديقتها أمل، وغيرها كثيرون، يعيشون حياتهم بشكل عادي ويتعاملون مع الواقع بشكل صحي وطبيعي، ولكنها لا تستطيع

ذلك.. لا تستطيع أن تتكيف مع واقع فُرض عليها منذ أن أبصرت النور في هذه الدنيا..

الشيء الوحيد الذي كان يدخل الابتسامة لقلبها هو رؤية ذلك الفتى الطالب في سنة أولى والذي يعمل في أوقات فراغه في كافتيريا الجامعة.. كان طفوليا لأبعد حد.. ملامح وجهه وعيونه الزرقاء وقامته القصيرة تعطيك انطباعا بأنه طالب في المرحلة الإعدادية!!

كان يقابلها هي وصديقتها بابتسامة طفولية ودودة وإذا لمحهما في آخر الرواق.. يقوم بتجهيز طلبهما قبل أن تصلاه.. عبارة عن كوبين من النسكافيه مع القليل من السكر.. لم يتبادلا الكلام أبدا.. تضع منى له ثمن الكوبين وتنصرف هي وصديقتها بهدوء.. وهكذا على هذا الحال منذ بداية هذه السنة الدراسية..

لاحظت منى ذات مرة وجود شيء صغير في كوبها.. قطعة صغيرة تكاد لا ترى بالعين لونها أخضر، على ما يبدو أنها قطعة بقدونس صغيرة.. ربما سقطت سهوا من يده أثناء إعداد ساندويتشات الفول والفلافل.. تجاهلت الأمر في البداية ولكنه تكرر عدة مرات، وفي النهاية قررت أن تواجهه.. وكان ذلك قبل بدء إجازة العيد.. حيث قالت له:

(كوبين نسكافيه سكر خفيف من دون سلطات!!).

ضحكا على الموقف، واعتذر بشدة على ما بدر منه، ووعدها بعدم تكرار ما حدث أبدا..

ابتسمت منى ولمعت عيونها وكأن الأمل بدأ بالانبعاث في قلبها من جديد.. شدت صديقتها وقالت:

(هيا بنا.. لنذهب ونشرب النسكافيه).

أكملتا طريقهما نحو الكافتيريا.. ومن آخر الرواق لم تر ذلك الفتى في مكانه.. سوف تبحث عنه وتخبره بطلبها المعتاد.. كوبين نسكافيه سكر خفيف من دون سلطات!!

لم تجده في أي مكان.. عجزت عن رؤيته.. وقررت أن تسأل عنه على الرغم من عدم معرفتها باسمه.. تراجعت في آخر لحظة.. أخذت كوبها وأعطت صديقتها الكوب الآخر وغادرتا إلى مكانهما المفضل.. وإذا بها تلمح صورته في ذلك الملصق.. سارت نحو الجدار وقرأت اسمه..

(مستحيل.. يبدو أنها دعابة سخيفة من أحدهم..).

أسرعت منى وأمل نحو الكافتيريا.. وصفته للرجل الآخر الذي يعمل هناك.. سألته عنه.. صمت الرجل ولمعت الدموع في عينيه وقال:

(لقد استشهد رامي أول أيام العيد أثناء اجتياح القوات الإسرائيلية

لمخيم البريج..).

ساد صمتٌ مطبق.. ربتت أمل على كتف صديقتها وسحبتها بهدوء..

يبدو أن كل ما يحيط بها قد حاك مؤامرة هذه المرة من جميع الاتجاهات لتسقط مني فريسة سهلة للاكتئاب.

# ينبض حبًّا

يبكي ويبكي.. حتى ولو لم نر دموعه.. هذا هو حال أستاذ صالح مدرس التاريخ الذي تجاوز الخامسة والسبعين من خريف عمره..

يرقد هناك مريضا على سريره في حجرته الباردة الخاوية على عروشها.. إلا من سرير ومقعد خشبي بجوار النافذة التي تطل على لا شيء سوى جدار أصم وذلك بعد تطاول البنيان في المخيم.. لقد طلب من أبنائه وأحفاده إخراج كل شيء من الحجرة والإبقاء فقط على سرير ينام فوقه ومقعد يجلس عليه أثناء فترة الظهيرة يقرأ ما كتبه من شعر على مدار عقود قد مضت..

يشعر أستاذ صالح بالضيق.. ضيق الأماكن.. يبحث عن البراح.. والفضاء الشاسع.. يبحث عن سلامه الداخلي ومصالحته مع نفسه.. يرفض زيارة الأقارب والمعارف.. يفضل البقاء وحيدا شاردا في ذكرياته.. لقد تملك منه مرض الزهايمر.. وبدأ ينسى كل الأشياء.. إلا رائحة قريته المنسية.. أشجارها وحقولها وطرقها الرملية.. ما زال يذكر كل شيء.. بيتهم الدافئ ومدرسته الصغيرة ذات الفصلين.... وديوان العائلة.. وحقول البرتقال والزيتون..

*بيتـي كان هناك*

*حقلي كان هناك*

*ولم يبق هنا وهناك*

*إلا رائحة الموت*

*على حدود السنين*

يذكر كيف طُردوا منها بقوة الـسلاح مـن قبـل عـصابات الهاجانـاه.. خرج يومها خائفا دون أن يلبس حذاءه في قدميه.. وسار متشبثا بوالدته التي تحمل أخته الصغيرة في حضنها.. يمسك طرف ثوبها الأسود المطرز بـالأحمر والأخضر.. هل كان يبكي طائرته الورقية التي تركها خلفـه أم يبكـي قدميـه المتقرحتين..

كانـت أمـه تـسير علـى غـير هـدى.. تتبـع خطـوات مـن سـبقوها بالهجرة.. تتفحص الوجوه لعلها تعثـر علـى وجـه زوجهـا.. بعـد أن خـرج للدفاع عن القرية.. ولم يعد من يومها..

سألت عنه الجميـع.. لا أحـد قـد رآه.. ومـن رآه صـمت ولم يـتكلم.. شعرت بأن مكروها ما قد أصابه.. هل مات.. هل تم أسره.. هل غادر إلى مكان آخر.. من يدري..

*عينان في الظلام*

*تبحث عن وطن*

*ربما في الأحلام*

*حيث يموت الزمن*

كان همها أن تصل بطفليها إلى بر الأمان.. بعيدًا عن رائحة الموت التي تفوح في كل الأرجاء.. وصلت إلى مخيم الشاطئ على بحر غزة.. وجلست تنتظر عودة زوجها الغائب.. مرت الأيام والسنون.. وكبرت وكبر الصغار.. لم يعد الغائب.. ولم تعد هي تنتظر.. بعد أن غيبها الموت تحت التراب تاركة خلفها ابنها صالح وأخته خديجة..

تزوجت خديجة وهاجرت مع زوجها إلى الخليج.. وبقي صالح في انتظار العودة إلى القرية.. عمل مدرسا للتاريخ في مدارس وكالة الغوث لتشغيل اللاجئين.. وكان ينظم الشعر ويهيم حبا في بلاده المسلوبة.. يقول لتلاميذه.. البلاد على مرمى حجر.. وهجرتنا لن تبقى طويلا..

فضحكتنا صباح

*وغضبتنا رياح*

*ومآتمنا أفراح*

تزوج وأنجب من الأبنـاء عـشرة.. ومـا زال يقطـن في المخـيم.. رفـض الخـروج منـه.. ورفـض بنـاء بيـت كـبير يـضم تلـك العائلـة الـتي اتـسعت واتسعت.. كيف يبني بيتا هنا ويترك بيته هناك.. غادر أبناؤه المخيم واحـدا تلو الآخر.. وبقي هو كما هو.. ينتظر العودة بفـارغ الـصبر.. يتـألم أحيانـا.. ويبكي.. ويكتب شعرا في حب فلسطين..

*على أيكة خيانة*

*نصنعُ من جراحنا*

*ألحانا...*

*نزرعُ في أجسادنا*

*مهرجانا...*

*فالموت يسري في قلوبنا*

*شريانا...*

على الرغم من مرور تلك السنوات الطويلة علـى خروجـه مـن قريتـه قسرا وظلما.. ما زال يتتبع أخبارها.. يحدوه الأمل في العـودة ويـشعل جـذوة الحلم لعل وعسى..

شابت نواصي الولدان وشاخت الأجساد

جفت الحناجر، ورفعت الأقلام

وما زال قلبي ينبض بكِ حبا واشتياقا يا فلسطين

هجر أحلامه جميعها وأبقى على حلم واحد فقط.. هـو أن يـتم دفنـه هناك في قريته..

فإن مت يا أولادي دون البلادِ

فاحملوا رفاتي وانثروها لعلها تهفو

حنينا فوق أرض آبائي وأجدادي

يعلم أستاذ صالح أن حلمه شبه مـستحيل.. وأن وصـيته لـن يـستطيع أولاده تحقيقها له.. لأن البلاد بعيدة جدا.. وهي ليست على مرمى حجر كما كان يعتقد.. شعر بالمسافة الآن..

كم أنت بعيدة أيتها القرية.. كم أنت مستحيلة أيتها الأحلام..

إن متُّ اليوم، لا ترثوني بل انثروني..

وردا وربيعا في قلوب أحفادي..

لعلي أرجع ذات يوم بعيونهم إلى بلادي..

ولا تبكوني..

فالأرواح مجتمعة وإن تفرّقت منا الأجساد..

# إنها حقًّا عائلة كسولة جدًّا

سمعتُ من قبل عن عائلات مشهورة جدا وعـائلات أخـرى محترمـة جدا وأخريات ثرية جدا، لكن هل سمعتَ عن عائلة كسولة جدا؟ هذه العائلة – ولي الشرف – هي عائلتي: عائلة أبو طبيخة!!

لم أكن أتوقع في يوم من الأيام أن تصبح عائلتي مشهورة بشيء معين.. حتى لفت صديق ما انتباهي لهذا الشيء.. في بادئ الأمر استغربت من حديثه ولم أصدقه.. ثم بدأت ألاحظ بعض الأفعال التي نقوم بها – كعائلـة – والـتي قد توحي بوجود بعض الكسل، ولكنه ليس بالمرض أو حتى بالشيء الخطير!

أذكر أن أختي الصغيرة قد دخلـت امتحانـا ذات يـوم وإذا بهـا تـسلم ورقة الإجابة فارغة والسبب أن قلم الرصاص قـد انكـسرت سـنه وكـسّلت أن تخرج البراية من حقيبتها.. عادي يعني طفلة!

في الأسبوع الماضي، جلست العائلة الكريمة أمام شاشـة التلفـاز.. كنـا نتابع الحلقة 523312 من المسلسل التركي «وادي الذئاب» بعد أن شـاهدنا إعادة لحلقة من مسلسل «نور ومهنـد» وترحمنـا علـى المسلـسلات المكـسيكية المدبلجة.. جلسنا نحن الخمسة على تلك الكنبة ووضـعنا علـى أنفـسنا لحافـا

خفيفا يقينا من النسمات الباردة المقبلة من النافذة بعد أن رفض الجميع القيام بإغلاقها بحجة أننا متعبون قليلا.. وبما أنها جلسة عائلية دافئة رفضت أمي إعداد الطعام.. فاضطر الوالد أن يتصل بالمطعم حتى يرسل لنا البيتزا الشهية.. وهنا بدأت مشكلة عويصة تظهر على السطح.. من الذي سوف يقوم بفتح الباب لعامل التوصيل.. وهنا اقترحت أمي أن نُجري قرعة ولكننا فشلنا في اختيار مرشحنا «لفتح الباب».. وأجلنا فكرة التصويت ريثما يصل العامل..

رن جرس الباب للمرة العشرين على التوالي.. ولم نكن قد رسينا على اختيار الفرد الذي يصلح لهذه المهمة.. كانت حجة أمي أنها لو كانت قادرة على النهوض لقامت بإعداد الطعام في المطبخ بدلا من طلبه جاهزا.. أما حجة أبي فكانت أنه رجل البيت ولا يجوز أن يقوم بفتح الباب بينما أولاده جالسون يشاهدون التلفاز.. إنها مهزلة!!

أختي الكبرى كانت تخاف على نفسها من «الفتنة»، أما أختي الصغيرة فصرخت بنا واعترضت لأنها هي من قامت – آخر مرة – بفتح الباب قبل خمسة أشهر للسباك الذي أصلح صنبور الماء!

توجهتْ أنظارُ الجميع تجاهي.. لا أعلم هل كانوا يطلبون مني فتح الباب أم ينتظرون أن يسمعوا حجتي.. ولكني نبهتهم أني استيقظت للتو.. وأني ما زلت أرتاح قليلا من النوم!

وهكذا قررنا جميعًا عدم فتح الباب.. طبعا بعد أن غادر عامل التوصيل ومعه البيتزا الشهية..

جلسنا نتابع ما تبقى من المسلسل.. واتفقنا على عدم تناول أي طعام في هذه الليلة تعاطفا مع إخوتنا في الصومال!

أذكر أنه في مرة من المرات ذهبت أمي وأختي الكبرى لتبارك لقريبة لنا بمناسبة زفافها وإذا بتلك القريبة تفتح لهم باب البيت وهي تحمل طفلة صغيرة بين يديها.. نسيتْ أمي أن قريبتنا قد تزوجت منذ أكثر من سنة.. عادي تحدث في أحسن العائلات!

ومرة أخرى ذهبت أنا والوالد الكريم في زيارة لأقارب لنا.. وكان عندهم مناسبتان.. الأولى زواج الابن والثانية وفاة الوالد.. فلم نعرف هل نبارك أم نعزي..! يعني إنه نوع من الكسل الاجتماعي لا أكثر ولا أقل..

حتى قصة الذهاب إلى الرحلة البحرية.. لم تكن دليلا قاطعا على كوننا عائلة من الكسالى.. فلقد اختلفنا فقط على من يبقى في البيت لإدارة شئونه في غيابنا.. طبعا الجميع أراد أن يبقى!!

كما أن حكاية جدي الكسلان الأكبر الذي توفي لأنه شعر بالتعب والملل من كثرة التنفس.. لم تكن سوى ضرب من ضروب الخيال..

كل هذه أحداث فردية متفرقة وليست دليلاً على كوننا عائلة كسولة بالمطلق..

والآن هل يمكنك أن تخفض الإنارة وتضع تلك البطانية علي لأني مُتعب قليلا.. فأنا لم أذق طعم النوم منذ أكثر من ثلاث ساعات؟!

# في عشق الباشا*

وقفت ترمقه من بعيد.. رقيق كالكريستال.. صلب كجلمود صخر.. ناعم كالألماس.. هادئ خارجه كالبلور.. ثائر داخله كالبركان..

لم تتوقع أن يرديها عاشقة وهي التي عصيت على الكثيرين ممن سبقوه.. خطف قلبها وخلب لبها وأسر فؤادها من أول نظرة..

كان يجلس هناك بين ستة من نظائره ولكنه كان سيدهم على الإطلاق.. كان يتوسطهم.. وكأنه مليكهم المتوج.. قد يشبهونه في الشكل.. لكنهم حتما لا يضاهونه في شيء..

لفت انتباهها رائحته المميزة..التي عبقت المكان.. كم تعشق رائحته العربية الخالصة!

أشاحت ببصرها عنه.. لكنها لم تتمالك نفسها وعادت تنظر إليه من جديد.. تقاوم رغبة جامحة بداخلها.. هل تذهب إليه أم تنتظر.. تصاعدت الأفكار وتهيجت المشاعر.. ولم تحسم معركتها بعد.. عضت على شفتها

---

* قهوة فلسطينية فاخرة

السفلى.. وانتظرت نتيجة المعركة.. لن تقاوم هذه المرة.. أعلنت هزيمتها النكراء.. بعد أن دكت حصونها قوته وسحره.. شعرت بأنه ينتظرها.. ينتظر خطوتها الأولى نحوه.. نحو الشغف!

طلت الأفكار الجنونية من رأسها ورسمت لها بساطا أحمر.. وقالت لها: سيري.. فسارت كمن تم تنويمها مغناطيسيا..

في الخطوة الأولى.. كانت ثابتة ورزينة.. هادئة وحكيمة..

في الخطوة الثانية.. تسابقت عينها وأنفها.. وشفتاها.. فكان أول الواصلين هو الأنف.. الذي تتبع رائحته المميزة.. وتبعته العين.. وبقيت الشفاه بطيئة.. تحثها تلك الأفكار الجنونية على الإسراع قليلا.. فالوقت قد ينفد.. وتفوز به أخرى غيرها..

سارت فوق بساطها الأحمر تتخايل بنفسها وبحذائها الأسود اللامع.. لم تعد ترى سواه.. قابعا هناك في انتظارها.. لم تعد تأبه بنظرات الآخرين لها.. لم يعد يهمها جنونها وطيشها.. لم تعد قادرة على مقاومته..

في الخطوة الثالثة والأخيرة.. عندما شارفت على الوصول إليه.. توقفت قليلا لتستجمع قواها.. فالرائحة كانت كافية لتعطر آلاف النجمات من حولها.. ربما ترددت.. ربما حاولت أن ترد عليه السحر.. ربما حاولت

أن تلعب معه اللعبة القديمة.. لكنها لم تلبث إلا أن وضعت يدها في يده..
تشابكت الأيدي.. وبحركة جريئة منها.. رفعت يده وقربته من شفتيها..
همست ببعض الكلمات.. ثم كانت أول رجفة.. وأول رشفة من ذاك الفنجان..
فنجان القهوة العربية!

# مزرعة لُبنى!

تستيقظ لُبنى صباحًا وقبل أن تغسل وجهها.. تتوجه إلى جهاز اللابتوب خاصتها وتفتحه لتبدأ يومها بنشاط وهمة، تستغل فترة بداية التشغيل وتذهب إلى الحمام لتغسل وجهها على السريع فأمامها عمل شاق، تفتح صفحتها على الفيس بوك وتأخذ جولة سريعة على الأخبار التي فاتتها أثناء نومها!! ثم تتوجه إلى مزرعتها farmville وتفتحها وفي انتظار التحميل، تسرع إلى المطبخ لتعد قهوة الصباح (طبعا في مج كبير حتى تصحصح) وتجلس أمام اللابتوب وتبدأ العمل، أولا تقوم بحصد المحصول وجني الثمار وحلب الأبقار وجمع البيض وتنظيف المزرعة وإطعام الحيوانات والشروع في توسيع المخزن وبناء إسطبل جديد للأحصنة وطلب المساعدة من جيرانها، مع إرسال بعض الهدايا لهم واستقبال البعض الآخر، كما تقوم بزيارة مزارع جيرانها لمساعدتهم في رش السماد على المحصول وإطعام حيواناتهم، وطبعا حصولها في المقابل على النقود أو الوقود!! وهكذا تمضي فترة الصباح كل يوم على هذا المنوال، عمل شاق ومضنٍ!!

وفي فترة الظهيرة تقوم بإعداد الغداء على السريع طبعا مع عدم إغلاق

جهاز اللابتوب حتى تكون على اطلاع أولا بأول بما هو جديد وحصري، خاصة أن جيرانها في المزرعة بين الحين والآخر يجدون بعض الحيوانات الضالة التي يتم الإعلان عنها لمن يرغب في تبنيها وإيوائها، كما يتشاركون صغار الحيوانات فيما بينهم وبعض الكوليكشنات!! وأحيانا يطلبون المساعدة في بناء أو توسيع مخازنهم أو بيوت حيواناتهم، وهذا ما تحبه، فهي تعشق مساعدة جيرانها!!

تتناول طعام الغداء مع زوجها وأولادها ثم تذهب للقيلولة بعد عناء يوم طويل!!

وفي المساء تعود مرة أخرى إلى المزرعة لتطمئن على محصولها وحيواناتها ولكي تضيف أصدقاء جددا في الفيس لا تعرفهم ولا يعرفونها، ولا يربطها بهم إلا المزرعة، فهناك جيران لها من الكويت ومصر ولبنان والسعودية والبرازيل وحتى كوالالامبور!! كل هذا حتى يزيد عدد جيرانها في المزرعة، وبالتالي تحصل على المزيد من النقاط ومزيد من الهدايا ومزيد من المميزات!!

وعندما يحين موعد النوم، تضع رأسها على المخدة وتفكر في كيفية جمع المزيد من النقاط التي تؤهلها لبلوغ مستوى أعلى في اللعبة، أها... لعبة؟ يا الله كل هذا يحدث في لعبة؟

هل أصبحت حياتها متعلقة بلعبة تلعبها طوال النهار؟! وكأنها هي عالمها الذي تعيشه، أصبحت منعزلة عن العالم الواقعي بعد أن اختارت وبكامل قواها العقلية وبكامل إرادتها الحياة في العالم الافتراضي، فما لا تستطيع فعله في الواقع، تستطيع فعله في الافتراض، فهي تحب الزراعة وهذا ما لم تستطع فعله في عالمها الواقعي، ووجدته في عالمها الافتراضي ولم يكلفها سوى جهاز كمبيوتر وخط نت! استطاعت أن تشتري أرضا وتقيم عليها مشروعها وقامت ببناء فيلا وحمام سباحة!! تستطيع أن تحقق كل أحلامها وطموحاتها في ذلك العالم!!

وعلى فكرة، من لا يحب الزراعة، يجد ألعابا أخرى قد تستهويه منها أن يفتح مطعما أو مصنعا للخياطة أو حتى ينشئ عصابة ويجمع السلاح ويهاجم جيرانه!!

كل ما ترغب فيه موجود، وتستطيع تحقيقه في لعبة!!

ولأنها تؤمن بنظرية المؤامرة، تعتقد بأن الهدف من هذه الألعاب هو إبعادنا قدر الإمكان عن الواقع ليحلو للبعض التحكم في واقعنا وتشكيله حسب وجهة نظره، وربما كان الموساد الإسرائيلي وراء مثل هذه الألعاب بهدف إشغالنا عن التفكير في قضيتنا الواقعية الأولى وهي فلسطين والمسجد الأقصى، وربما كان الحكام العرب وراءها بهدف إغماض عيوننا عما يفعلونه

في بلادنا، وربما كان الغرب بهدف غزو ثقافي واستعماري جديد، وربما وربما، المهم أن هناك مؤامرة، من يحيكها، وما هو هدفه، الله أعلم!!

أما الآن فسوف تذهب إلى النوم حتى تستيقظ باكرا لأنه ينتظرها عمل شاق ومضنٍ، طبعا في مزرعتها!! وتتساءل: «يا ترى هل تأتي الكهرباء غدا صباحا؟»..

## أول مرة!

أمسكتْ بسماعة الهاتف ونظرتْ إلى الأرقام الباردة المتراصة بجوار بعضها البعض، ابتلعتْ ريقها واستنشقت المزيد من الهواء، وحاولتْ أن تطلب الرقم، لكنها لم تستطع..

أغلقت السماعة بهدوء..

عاودت الكرة مرة أخرى..

أمسكتْ بسماعة الهاتف ونظرتْ إلى الأرقام الباردة المتراصة بجوار بعضها البعض، ابتلعتْ ريقها واستنشقت المزيد من الهواء، وحاولتْ أن تطلب الرقم، 2.. 1.. 3.. ولم تكمل..

أغلقت السماعة بتوتر.

عاودت الكرة مرة ثالثة..

أمسكتْ بسماعة الهاتف ونظرتْ إلى الأرقام الباردة المتراصة بجوار بعضها البعض، ابتلعتْ ريقها واستنشقت المزيد من الهواء، وحاولتْ أن تطلب الرقم 2.. 1.. 3.. 2.. غلبتها دموعها..

ألقت السماعة على الأرض..

وأخفتْ رأسها في صدر زوجها وأجهشتْ في البكـاء.. فهـذه هـي أول مرة تطلب رقم هاتف بيت أهلها بعد رحيل والدتها!

# لاجئون رغم أنفنا!

ولدت في مدينة رفح على الحدود المصرية لوالـدين مـواطنين.. أي مـن أهل البلد، رفح هي مسقط رأسي ورأس والدي ورأس جدي ورأس سـابع جـد من سلالتي.

لم اهجَّر من بلادي مطلقـا.. مـرت الحـروب والنكبـات والنكـسات.. وعائلتي متمسكة في الأرض.. ضاربة جذورها في أعماق التراب.. نموت ولا نرحل.. أين نهرب من قدرنا.. أين نهرب من مـصيرنا.. هـل نهـرب إلى بلد آخر لنعيش نكبة إخوتنا اللاجئين ممـن هـاجروا مـن أرضـهم علـى أمـل العودة.. وبعد أكثر من ستين عاما لم يعودوا.. بـل غابـت فلـسطين وابتعـدت أكثر فأكثر.. تركـوا خلفهـم كـل شيء.. بيـوتهم.. ذكريـاتهم.. ملابـسهم.. كتبهم.. أشياءهم الكبيرة والصغيرة.. المهمـة وغـير المهمـة.. تركـوا خلفهـم أحلامهم وصباهم.. تركوا خلفهم ماضيهم.. حتى الأمل في العودة.. يبدو أنـه هو الآخر قد ترك نفسه خلفهم.. مذابح وراء مذابح*..

---

* قام جيش الاحتلال الإسرائيلي بتنفيذ مذبحة في المدرسة الأميرية في مدينة رفح في 12 نوفمبر 1956 راح ضحيتها المئات حيث تم جمعهم من بيوتهم ومن ثم إطلاق النار عليهم من دون سبب!

حــروب وراء حــروب* .. ومـا زلنـا متمـسكين بـالقعود هـا هنـا.. لا جبروت المحتل يرعبنا ولا بطشه يرهبنا.. فلقد استوعبنا الدرس جيدا.. من يخرج.. لن يعود.. لن تنفعه دموعه ولا حتى وعود حكام العرب.

بقيت رفح.. وبقينا.. حفـرت أمـي حفـرة وأدخلـت إخـوتي الـصغار بداخلها، ثم غطت عليهم بلوح «زينكو».. ظنا منها بأنهم هنا في أمـان، ولـن تراهم طائرات العدو أثناء تحليقها في سماء قطاع غزة بعـد هزيمـة العـرب في نكستهم هم لا نحن!

في صبيحة اليوم التالي.. جاع الصغار.. وبدءوا في البكاء.. فثارت على صمتها وخوفها.. خرجت وجمعت بعض الحطب وأشعلت النار لتخبز عيش الصاج.. نهرها الأقارب والجيران.. ونعتوها بالمجنونة وأن دخـان خبيزهـا سوف يلفت انتبـاه الطـائرات فتقـصفهم وهـم في جحـورهم.. فأعلنتهـا بكـل جرأة: «لن يموت صغاري وهم جوعى!».

انتهت من الخبيز.. وأطفأت النار.. وشبع الصغار.. ولم تطلق عليهـا الطائرات أي رصاصة.. بل صـنعت علـى بقايـا حطبهـا المـشتعل شـايا قدمتـه لشيوخ حمولتها.

---

* حرب الأيام الستة

ذاب قلبها من كُثر ما رأت في حياتها.. خلعته بعيدًا ووضعت بدلا منه حجر صوان.. ليتحمل أهوالا ينذى لها جبين الأمة جمعاء.. أهوالا أبى العرب أن يحملوها وأشفقوا منها.. فحملها الفلسطيني وكان ظلوما جهولا..!

تخاطبني أمي قائلة: «يا صغيرتي».. وكأن الصغير لا يكبر.. وكيف يكبر من صغرت عليه الدنيا وضاق به الفضاء الرحب؟!

كلما بدأتْ في سرد حكاية من حكاياتها المثيرة.. تبدأها بمقولتها: كان يا ما كان.. يا سادة يا كرام.. في سالف العصر والأوان.. بنت صغيرة من بلاد السلام.. معها وعنها يحلو الكلام..

وتبدأ في الحكي والسرد.. ويختلط الخيال بالواقع.. فلا تعد تميز بين الاثنين.. ففي أرضنا اختلط كل شيء بكل شيء.. حكايات معقولة نصدقها بعقولنا البريئة.. وحكايات لا معقولة نصدقها بقلوبنا الواجفة!

تحكي لنا قصة تلك الأم التي حملت كومة الملابس بدلا من وليدها.. وهربت من القرية خوفا من عصابات الهاجاناه اليهودية.. لتفقد صوابها فيما بعد.. وتهيم في الشوارع كمن مسه الشيطان.

ثم تعبر بنا إلى قصة الرجل الذي هُدِمَتْ داره لتصبح خاوية على عروشها.. ولم يبق سوى بابها قائما.. فيقوم الرجل المسكين بإغلاق الباب

بالمفتاح والقفل..

نضحك وتضحك أمي وتفيض عيونها بالدموع.. ربما من شدة الضحك الممزوج بالألم.. وربما من ازدحام الذكريات داخل عقلها..

وتعود مجددا لنسج قصصها.. تبدأ بالسلام على السادة الكرام.. وتنهيها بمآسي اللاجئين والخيام..

وفي نهاية كل قصة تقول أمي: «الحمد لله أننا لم نهاجر حتى لا نكون لاجئين».

حتى ولو لم نهاجر يا أمي.. بقينا لاجئين.. من قال: إن اللاجئ هو من ترك أرضه؟ اللاجئ هو من تركته أرضه وغادرت روحه..

أليست أرض حيفا أرضي.. أليس جبل الكرمل جبلي.. أليس بحر يافا بحري.. أليس سهل مرج بن عامر سهلي.. أليس سور عكا سوري.. أليست فلسطين فلسطيني؟!

نحن – يا أمي – مهاجرون بالوراثة ولاجئون بالتقادم.. نحن لاجئون يا أمي شئنا أم أبينا.. نحن لاجئون رغمًا عنا.. رغمًا عن أنفنا!

# الكتاب الثاني

# .. وأشياء أخرى



# الألم الذي ينتظر الجميع

على الرغم من أن الموت حقيقة لا تقبل الشك، إلا أن موت الأم له طعم مختلف عن موت أي شخص آخر، لقد جربت رحيل الجد والجدة والأبناء والأقارب بحكم تجارب الموت المتعددة والمختلفة التي تحدث هنا في فلسطين، ولكن رحيل أمي كان له طعمه المر الذي يشبه طعم العلقم، يترك غصة في الحلق وألما دفينا في القلب وجرحا غائرا في النفس والروح.

الألم الذي اعتصر قلبي وجعله شعلة من نار ترفض أن تخمد، ألم شعرت به وشعر به البعض من قبل، وسوف يشعر البعض الآخر به في وقتٍ ما، هذا الألم هو ألم فقدان الأم، ذلك الصدر الحنون، والقلب الصافي، والضحكة البشوشة، والنظرة اللامعة، واليد المعطاءة، إنه الألم الذي ينتظر الجميع.

كنت أعلم أن أمي سوف ترحل يوما ما، اليوم أو غدا، وأن النهاية أصبحت وشيكة، ولكني كنت أكابر، كيف ترحل وتتركني وحيدة، أصارع هذه الحياة، تارة تصرعني وتارة أصرعها.

كانت أمي الملاذ الآمن والحضن الدافئ في ليالي الشتاء الباردة وما أكثرها.. كانت مخزن أسراري وحكاياتي، كانت صديقتي وأختي وحبيبتي قبل أن تكون أمي، شعور غريب انتابني وكأني فجأة أصبحت في الستين من

عمري، مع شعور قاتل بالوحدة وكأني على جزيرة نائية لا يوجد بها بشر.

كان الجميع حولي يواسيني ويشد من أزري، ويخبرني بأن الموت حق، وأن البعث حق، تلك السيدة تجلس بجواري وتحدثني لأول مرة في حياتي تقول لي: شدي حيلك، وأخرى تقول: ادعي لها بالرحمة، صوت يأتي من بعيد يقول: كلنا على هذا الطريق، أين أمي وأين أبي، وأين نحن لأبنائنا فيما بعد!!

دموع لا تتوقف ولو لثوانٍ، من أين جاءت كل هذه الدموع، وكأني اختزنتها في مكان ما في مقلتي لهذا اليوم العصيب، وما فائدة الدموع بعد اليوم، هل تعيد الغائب! لا وربي لا تعيده ولو لثانية واحدة، رحلت وتركتني أشرب حسرة فقدانها الأبدي.

اشتقت إليكِ يا أمي، وعلمني شوقي بأن أبكيكِ سرا؛ لأن البكاء له قدسية، يستمدها من طيبة قلبك وصفاء ابتسامتك..

منذ أن فقدتكِ يا أمي، بدأت أفقد كل شيء تباعا، وبدأ الفراغ يلفني ببطء، وبدأت رحلة الهروب.. الهروب من كل شيء إلى لا شيء.

وداعًا يا أمي.. وداعًا يا فرحتي الأولى.. ويا دمعتي الثانية..

وداعًا.. وداعًا..

# الهجرة إلى غزة

قد تستغربون من العنوان «الهجرة إلى غزة»، وقد تقولون: ربما أخطأت في حرف الجر «إلى» ولكن الجملة صحيحة لغة واصطلاحا، نعم الهجرة إلى غزة، وأعني بكلمة غزة مدينة غزة وليست قطاع غزة، فقد لاحظت أن الكثير من أبناء الجنوب والشمال قد اختاروا الهجرة من مدنهم إلى مدينة غزة؛ حيث إن ظروف المعيشة فيها «نسبيا» أفضل من ظروف المعيشة في الجنوب والشمال حيث تنعم مدينة غزة بنوع من الحداثة والمدنية قد لا تجدها في مدن القطاع الأخرى.

وهنا نجد ظاهرة هجرة الكفاءات من المدن الصغيرة إلى المدينة الأم التي قد يجوز لنا تسميتها مجازا بعاصمة قطاع غزة، على اعتبار أن القطاع أصبح شبه دولة داخل دويلة داخل دولة!!

فنجد أن دكتور الجامعة يهاجر بعائلته إلى غزة، كذلك المهندس والطبيب والمحامي والفني حتى من لا عمل لديه، الجميع يهاجر، ومن لم يهاجر يحدث نفسه بالهجرة، وينتظر فرصة تلوح له بالأفق.

فمدينة غزة بالنسبة لهؤلاء مدينة جميلة نوعًا ما، والحياة فيها

سهلة أيضا نوعًا ما، فكل شيء تقريبا في غزة متوفر، الأسواق، والمتنزهات، والمطاعم، والاستراحات، والشاليهات، والحدائق العامة، كما أنك تستطيع أن تشتري ما تريد وأنت جالس في بيتك؛ حيث تطلب الطعام «الدليفري» عن طريق الهاتف، وترسل البواب ليقوم بتسديد فواتير التليفون والإنترنت والكهرباء، ويقوم السوبر ماركت بتوصيل ما تحتاج إليه حتى باب البيت، كما أنك لا تحتاج للذهاب إلى السوق، فبجوار بيتك يوجد السوبر ماركت وبائع الخضراوات والفواكه ومحلات بيع الملابس والأحذية وغيرها مما تشتهي الأنفس (!!). وإذا فكرت بالخروج للفسحة مع عائلتك، ما عليك سوى الاتصال بمكتب التاكسيات وما أكثرها هنا في غزة، وخلال بضع دقائق تجد السائق في انتظارك أمام بيتك ويذهب بك إلى حيث تريد، المهم أن تكون محفظة نقودك «ممتلئة».

إذا كنت من أهل الشمال أو الجنوب، وقرأت ما كتبت لربما شعرت بأن كلامي قد مس جزءا لا يستهان به في حياتك، أما إذا كنت من أهل غزة، لربما ضحكت مما كتبت؛ لأنك لا تشعر بأفضلية مدينتك «أي غزة» عن باقي مدن القطاع، وربما راودك هاجس الهجرة من غزة إلى الضفة الغربية، أو إلى الخارج، بحثا عن حياة أفضل.. وهكذا، فالكل يفكر بالهجرة سواء أكانت هجرة داخلية أم هجرة خارجية!!

فكل ما في غزة يهاجر، هناك من يهاجر من مدينة إلى مدينة، وآخـر من حزب إلى حزب، وهناك من يهاجر من فكرة إلى أخـرى، ومـن معتقـد إلى آخر وهكذا.. فالحياة في غزة تبدأ بهجرة وتنتهي بهجرة!!

## للمكتئبين والمكتئبات

«أنا مخنوق، أنا مكتئب» جملة قد تسمعها من الكثير في كل أنحاء الأرض باختلاف لغاتهم أو حتى لهجاتهم، كل شخص يقولها على طريقته، وتقودنا هذه الجملة إلى ما يسمى بالاكتئاب، والذي يروق للبعض تسميته بـ«نزلات البرد للصحة العقلية».

من المعروف أن الاكتئاب مرض نفسي يصيب النساء أكثر من الرجال، وهذا من منطلق أن الرجل أقدر من المرأة على تحمل الصدمات ومواجهة المشاكل التي تعترض طريقه، أما المرأة إذا أصيبت بالاكتئاب فإنها تمارس عملية الانسحاب، الانسحاب من كل شيء ودفن همومها ومشاكلها وحتى مشاعرها في الداخل، لا تتحدث كثيرا عن اكتئابها، وتحاول أن تكون لطيفة مع الآخرين، تبكي لأتفه الأسباب، تصبح غير قادرة على التوازن ومواجهة الواقع، فتلجأ إلى أحلام اليقظة، وتقضي ساعات أطول في النوم لتجنب التفكير، كما أنها تبدأ في التهام الكثير من الطعام محاولة منها للهروب من كل شيء.

**علامات الاكتئاب:**

1- إذا أحسست بأن عجلة الزمن لا تسير إلى الأمام (أو حتى إلى الخلف!).

2- إذا شعرت بأنك شخص غريب وسط أهلك وأصدقائك (إذا كان لديك أصدقاء أصلا).

3- إذا شعرت بالملل الدائم والكسل واللامبالاة.

4- إذا أصبحت غير سعيد وغير راضٍ عن حياتك.

5- إذا شعرت باليأس والإحباط والانقباض.

6- إذا شعرت بالندم أو الذنب اللامبرر.

7- إذا فقدت اهتمامك بالتواصل الاجتماعي مع الآخرين.

8- إذا شعرت بأنك قمة في التناقض في كل شيء.

9- إذا شعرت بفوضى في أفكارك ومشاعرك وحواسك.

10- إذا شعرت بأنك مستهدف من الجميع!

11- إذا كرهت وجود مرآة في بيتك.

12- إذا أصبحت تنام في أوقات الصحوة وتصحو في أوقات النوم.

13- إذا انتابك شعور دائم بالخوف والاغتراب والفراغ الداخلي.

14- إذا فقدت ثقتك بنفسك.

15- إذا أصبح لديك فرط حساسية من أي كلمة أو تصرف.

16- إذا اكتنفك شعور بالحزن وعدم السعادة والألم وغصة في القلب.

17- إذا أصبحت سهل الاستثارة وسريع الغضب.

18- إذا أصبحت ضعيفا مُنهكا مُتعبا.

19- إذا أصبحت متحجر المشاعر وخاوي الفكر.

20- إذا مررت بكل ما سبق، فأهلا وسهلا بك في عالم المكتئبين والمكتئبات!

**علاج الاكتئاب:**

من جانبي أفضل استخدام مصطلح مقاومة الاكتئاب وليس العلاج؛ وذلك لأن الاكتئاب إحساس موجود بداخل كل شخص منا، وليس مجرد مرض إذا تم أخذ العلاج المناسب ينتهي ويزول، بل الاكتئاب يعاود الظهور من فترة إلى أخرى في حياتنا إذا وجد البيئة والجو المناسبين للنمو، وأيضا حسب الحالة النفسية التي نمر بها، وبذلك يجب علينا التسلح بسلاح قوي لمقاومته وقتما يظهر، وأول سلاح من وجهة نظري هو الإيمان بالله عز وجل،

وأنه القادر الوحيد على إخراجنا من هذا الوضع، والرضا بقضائه، وعدم السخط على كل شيء، وهذا حل بسيط وسهل، وهو في متناول الجميع، بعيدًا عن تناول العقاقير والأدوية التي قد تزيد الطين بلة.

ثاني سلاح هو معرفة حقيقة هذه الدنيا، وأنها دار ممر لا دار مستقر، وأنها خُلقت ليس لإسعادنا ولكنها فترة اختبار لنا لكي نختار ونقرر مصيرنا في النهاية إلى الجنة أو النار، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»؟ هذا معناه أن الدنيا قد جُبلت على الحزن والكدر فإن أفرحتك يوما أحزنتك يوما آخر، وإن أضحكتك يوما أبكتك يوما آخر وهكذا، هذه هي الدنيا؛ السعادة فيها زائفة مؤقتة، أما السعادة الحقيقية الدائمة فهي في الآخرة في الجنة.

أما السلاح الثالث فهو أن تعلم أن «نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل» أي حاول أن تشغل نفسك بما هو مفيد لك، ولا تركن إلى الدعة والكسل؛ فهما مفتاحان لباب الاكتئاب والأمراض النفسية الأخرى، حافظ على صلواتك، داوم على قراءة القرآن الكريم، حاول أن تجتهد في عملك، مارس هواية مفضلة لديك، قم بزيارة الأهل والأصدقاء، جرب أشياء جديدة في الحياة، حاول أن تقلل ساعات نومك، مارس الرياضة، ابحث عن الأشياء التي قد تدخل الابتسامة إلى قلبك، جدد في نفسك، اجعل لنفسك هدفا في

الحياة واسع إلى تحقيقه، غير تسريحة شعرك واشتر ملابس جديدة، خذ حماما دافئا فإنه يريح الأعصاب ويصفي الذهن.. وغيرها الكثير والكثير من وسائل مكافحة الاكتئاب.

أما السلاح الرابع والأخير فهو الدعاء والإكثار من الاستغفار، فللدعاء فعل السحر، صدقوني، حاولوا أن تجربوه ولن تندموا، ولا تقولوا: «نحن ندعو ولكن لا يستجاب لنا»، فقد سُئل إبراهيم بن أدهم – رحمه الله: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نِعَم الله ولم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار ولم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات ولم تعتبروا بها، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم.

ومن أجمل الأدعية التي تذهب الاكتئاب والحزن والهم هو دعاء الرسول صلوات الله عليه: «اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ فيا حكمك، عدل فيا قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي»..

أما فضل الاستغفار فهو فضل عظيم، اجعل دائما لسانك رطبا بذكر الله وقل: أستغفر الله العظيم من كل ذنبٍ عظيم، يقول الله سبحانه وتعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» الأنفال: 33، لو افترضنا أن الاكتئاب عذاب فإن علاجه ببساطة هو الاستغفار.

ويقول جل جلاله أيضا: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا». نوح 10 – 12.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب».

لقد حاولت البحث كثيرا عن علاج للاكتئاب، ولكني لم أجد أفضل من كتاب الله وسنة رسوله، فاعلموا جيدًا أن المرض العضوي لا يكون علاجه إلا عضويا، أما المرض النفسي فعلاجه يكون نفسيا روحانيا، توجهوا إلى الله بالدعاء والاستغفار؛ لعل الله يفرج همكم وينفس كربتكم ويقلل عثرتكم ويتولى أمركم بنفسه.

# عن السعادة أتحدث

الكثير من الناس يتذمرون ويشكون.. طوال الوقت.. يقولـون لـك: إن حياتهم كتاب من العذاب وإنهم لم يروا لحظـة سعادة في عمـرهم كلـه.. بـل شقاء وتعاسة طوال الطريق..

هل هذا صحيح؟ هل الحياة كلها شقاء وتعب.. حزن واكتئـاب.. هـم وغم.. كآبة وألم.. فراق وبعاد.. وجع وشجن..

لا أعتقد ذلك.. إن الحياة مليئة بالمنغصات، وفي الوقـت نفسه مليئـة بلحظات السعادة المفعمة بالأمل.. لنعدْ بالزمان قليلا.. هـل تـذكر أول لعبـة اشتراها لك والدك؟ وقابلته يومها بضحكة من القلب؛ لأنه أحضر لك اللعبـة التي كنت تتمناها.. هل تذكر تلـك الدراجـة.. الـتي تعلمـت ركوبهـا وأنـت صغير.. هل تذكر أول يوم في الروضة.. أول يوم في المدرسة والملابس الجديـدة والحذاء والشنطة.. هل نمت وأنت سعيد.. تحلم بأن يأتي الصباح لتـذهب إلى المدرسة.. هل تذكر حصولك على شهادة الابتدائية وانتقالك للإعدادية.. هـل تـذكر رحلاتـك المدرسـية مـع مدرسـيك وأصـدقائك.. هـل تـذكر نجاحـك في الثانوية العامة، ودخولك للكلية التي تحبها، وقفشات وضحكات الـزملاء في

الجامعة.. أول دقة قلب.. أول راتب لك في وظيفتك.. أول رحلة خارج البلاد.. أول تجربة جديدة في حياتك.. ليلة زفافك.. أول طفل؟

تذكر أول بيت شعر خطته أناملك.. أول جهاز كهربائي أصلحته.. أول خطوة في مشوار الألف ميل مشيته؟

حسنا.. هل تذكر آخر كتاب ساخر قرأته وضحكت على بعض فقراته.. وأدخل السعادة إلى قلبك.. هل تذكر آخر نهفة عملها طفلك الصغير.. آخر رسالة جاءتك من صديق غائب.. أو دعاء من ست الحبايب؟

ألم تسجد لله في الصلاة وشعرت براحة نفسية ونشوة حقيقية.. ألم تنعم بشهر رمضان.. ألم تشعر بالفرحة في عيد الفطر.. وعيد الأضحى.. ألم تدمع عيناك فرحا برؤية الكعبة وحجاج بيت الله الحرام؟

لا يشعر بالسعادة إلا من كابد الشقاء.. فلا تكن أسيرا للماضي وأحزانه.. بل انطلق في فضاء الحرية واعلم أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. فلا البكاء يرجع الغائب.. ولا الحزن يعيد ما ذهب..

وتذكر أن الله إذا أحب قوما ابتلاهم.. ليختبر صبرهم وقدرتهم على تحمل المشاق.. وتأكد أن مع العسر يسرا.. فلا الحزن دائم ولا الفرح دائم.. يقول الشاعر:

*قل لمن يحمل هما إن الهم لن يدوم..*

*مثلما تفنى السعادة كذلك تفنى الهموم*

لا تختــزل مفهــوم الــسعادة في المــال أو الــشهرة.. ولا في المكانـــة والمنصب.. واعلم أن السعادة قرار.. ينبع من داخلك..

لا تنظر لغيرك وما في أيـديهم.. فمـن يملـك المـال لا يملـك الـصحة.. والنماذج كثيرة.. قس على ذلك كل شيء.. هذا أُعطي نعما كـثيرة وحُـرم مـن نعمة الإنجاب.. وذلك حُرم من المال وأُعطي نعمـة العقـل.. لا يوجـد شخص أُعطي كل شيء أو آخر فقد كل شيء..

كما أن الـسعادة نـسبية؛ فمـا يـسعدك قـد يحـزن غـيرك.. والعكـس صحيح.. تفاءل دائما واعلم أن الخيرة فيما اختاره الله..

أكثِرْ من الاستغفار.. فإنه ريـحٌ طيبــة تزيـل كـل ضـيق وتـزيح أوراق الاكتئاب عن الطريق..

الحياة مليئة باللحظات السعيدة.. فلا تختزلوهـا في تكـبير الأحـزان والبكاء على الأطلال.. فالحياة ليست كئيبة بالمطلق ولا سعيدة بـالمطلق.. كمـا يوجد حزن.. توجد سعادة..

# الحمد لله على نعمة الإسلام

سألت اليوم نفسي: ماذا لو لم أولد مسلمة لأبوين مسلمين؟ ما هو شكل حياتي في تلك اللحظة؟! ماذا لو كان والدي بوذيين مثلا أو من عبدة السيخ أو هندوسين أو نصرانيين أو يهوديين «والعياذ بالله» أو.. أو..أو..

ما هو مصيري؟ وهل كنت سوف أهتدي إلى الإسلام أم ماذا؟ احترت كثيرا في الإجابة وتذكرت قول الله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» القصص: 56، وهذا معناه «كما أعتقد» أن الهداية ليست بيدي، بل هي بيد الله عز وجل، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وبالتالي فأنا في نعمة؛ لأن الله منّ علي بنعمة الإسلام، وأن جعلني مسلمة ابنة مسلمين «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ» الأنعام: 125، وهذا ما دفعني إلى شكر الله على هذه النعمة العظيمة ليلاً ونهارًا «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ».

**أيها المسلم..**

اشكر الله على نعمة الإسلام ونعمة العقل وأنك لست من عبدة الأبقار ولا النار ولا الأحجار، وافتخر بأنك مسلم، لا قومي ولا عربي، لا اشتراكي

ولا رأسمالي، لا فتحاوي ولا حمساوي، ولا غيرها من المصطلحات الوضعية الدخيلة علينا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

فأنا لا أستطيع أن أصدق أن هناك عاقلا واحدا ما زال يعبد البقرة ويتبرك ببولها!! ويعبد النار والفئران وغيرها، فلقد قرأت ذات مرة عن تقديس الفئران عند الهندوس، وأنه يحرم قتلها، بل تقام لها المعابد الخاصة ويقدم لها الحليب! ! كما أن من عادات جزيرة هاوان أن يقدموا مهرا للفتاة الجميلة بعدد كبير من الفئران يزيد عددها أو يقل حسب درجة جمال العروس!!

كما أن هناك قبيلة هندية تقوم بذبح أول بنت ترزق بها الأسرة عندما تبلغ 22 سنة ومن ثم تقوم بإلقاء جثتها في البحر إرضاء لآلهتهم.

وفي الهند أيضا عند وفاة شخص ما، يتم وضعه على طاولة من الخشب ويضعون فوقه وعلى جانبيه طبقات من الخشب ومن ثم إشعال النار فيه، فتحترق الجثة «إكرام الميت حرقه!»، ولإثبات ولاء زوجته يتم حرقها معه.

إن الله منّ علينا بنعم كثيرة منها نعمة العقل والسمع والبصر والصحة والمال والبنين وغيرها الكثير، ولكن أفضل نعمة منّ الله علينا بها هي نعمة

الإسلام، قال تعالى في محكم التنزيل: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» الحجرات: 17.

وعلى الرغم من ذلك نجد الكثير من المسلمين يقولون: نحن مسلمون ولكنهم لا يفقهون شيئا عن الإسلام ولا يمتون له بصلة، غير أنه مكتوب في البطاقة الشخصية، خانة الديانة: مسلم!!

الحمد لله حمدا كثيرا على نعمة الإسلام...

*ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا*

*دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيّرت أحمدَ لي نبيا*

# أسئلة وأجوبة حول التدوين

*ما هو التدوين؟*

التدوين هو كتابة ما يجول في خاطرك من أفكار، وتعبير عما يختلج في صدرك من أحاسيس ومشاعر، باللغة أو اللهجة التي تناسبك وتناسب توجهاتك ورغباتك، ثم نشرها على صفحات الإنترنت بحيث يستطيع الآخرون قراءتها والاطلاع عليها، والتعليق أيضا عليها، حيث تصبح مشاعا للجميع.

*ماذا أدون؟*

قبل أن تبدأ بالتدوين يجب عليك:

1. أن تضع مخافة الله بين عينيك، وأنك سوف تحاسب على كل ما تكتب أو تنشر، قال تعالى: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»، وقد قال الرسول صلوات الله عليه لمعاذ رضي الله عنه: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».
2. أن تراعي ضميرك فيما تكتب، وأن تلتزم الصدق والموضوعية والشفافية والأمانة في كتاباتك؛ لأنها سوف تسجل للتاريخ.

3. إذا كانت المدونة فتاة، فيجب عليها مراعاة كل كلمة تكتبها وليست كل جملة، وأن لا تتمادى في الردود مع زوار مدونتها لقوله تعالى: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا».

- يمكنك التدوين في شتى المواضيع التي تهمك وتشغل بالك، ولكن اجعل مدونتك ذات طابع إسلامي «لأننا مسلمون»، اعمل على نشر الدعوة الإسلامية والحث على الخير والعمل الصالح والدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق وتوعية الشباب المسلم ونشر الوعي الثقافي والإسلامي، اجعل لمدونتك هدفا تسعى إلى تحقيقه، لا تجعل كتاباتك عقيمة لا جدوى منها، لا تكتب لمجرد أنك تريد أن تكتب.

*لماذا أدون؟*

بداية، أنت تدون لأنك تحب أن تدون، لا يكتب المدون أي شيء إلا وكان وراءه هدف معين، هناك من يكتب لأنه يمتلك موهبة الكتابة ويريد نشر ما يكتب ولكنه لا يجد أي صحيفة أو جريدة ينشر من خلالها كتاباته، فيلجأ إلى التدوين «الصحافة الشعبية»، وهناك صاحب رسالة يريد نشر أفكاره ومعتقداته بكل حرية بعيدًا عن القيود والالتزام، وهناك من يريد مشاركة المعرفة والمعلومات مع الآخرين ويسعى إلى اكتساب الخبرات والمعارف المختلفة، وهناك من يدون من أجل التفريغ النفسي والعاطفي،

فالكتابة قد تكون نوعا من أنواع العلاج وقد تكون أيضا نوعا من أنواع الهروب من المشاكل والضغط النفسي.. وهكذا، فأسباب التدوين تختلف من شخص إلى آخر.

*لمن أدون؟*

هناك من يقول: أنا أدون من أجلي فقط ولا أدون لغيري، وأقول لك: إن صاحب هذا الكلام مخطئ؛ لأن هناك اختراعا اسمه دفتر المذكرات، تكتب فيه ما تريد ولا يقرأ ما كتبت يداك إلا عيناك!! أما إذا كتبت ونشرت على الإنترنت، فهذا يعني أنك تريد من الآخرين قراءة ما كتبت، وبالتالي فأنت تكتب ليس لأجلك فقط بل للآخرين أيضا.

*كيف أدون؟*

عملية التدوين عملية سهلة هينة وليست بالصعوبة التي تتوهمها؛ حيث تستطيع أن تبحث في «جوجل» عن كيفية إنشاء مدونة، والخطوات سهلة وواضحة، كما يمكنك الاستفادة من عدة مدونات تتحدث عن كيفية التدوين.

*متى أدون؟*

– في الوقت الذي تشعر فيه بأن في عقلك ما يستحق الكتابة (!).

- اختر الوقت المناسب للكتابة وراجع ما كتبت قبل أن تنشر، حاول أن تكتب باللغة العربية الفصحى البسيطة «يعني لا تكتب بالفصحى الصعبة ولا بالعامية الركيكة»، لا تستخدم اللهجة العامية؛ فأنت تكتب ولست تتكلم وإذا لزم الأمر فإنه يجوز استخدام بعض الكلمات العامية في بعض الأحيان ولكن حاول أن تضعها بين قوسين، اكتب بلغة عربية سليمة؛ فمن الواجب علينا حماية لغتنا الأم.

- اختر صورة مناسبة وملائمة لموضوعك، فالصورة قد تعبر عن الفكرة أكثر من الكلمة، حاول أن تخلو مدونتك من الصور السافرة والإباحية أو صور النساء العارية أو المتبرجة.

*أين أدون؟*

- اختر البيت الذي يناسبك فهناك الكثير من البيوت أو «المنصات» مثل:

مكتوب – جيران – مدونات أمين – Blogger وغيرها الكثير، فكل بيت له مميزاته وعيوبه.

- حاول أن تربط مدونتك بالتجمعات المختلفة مما يساعد في انتشارها ومنها: تجمع المدونين الفلسطينيين – بيت المدونات العربية وغيرهما، ربط

مدونتك بهذه التجمعات لا يعني بالضرورة أن تلتزم بنمط معين في الكتابة، فلك كل الحرية فيما تكتب، ومميزاتها أنك تستطيع التعرف على زملائك في عالم التدوين.

وأخيرا ماذا يعني «مدون فلسطيني»؟

- يعني صاحب قضية ومبدأ.
- يعني صاحب رسالة وهدف.
- يعني أخلاق، عمل، مثابرة، واجتهادا.

# الأدب الإسلامي (نظرة تعريفية)

هل سمع أحد منكم عن الأدب الإسلامي؟ لقد سمعنا عن الأدب العربي والأدب الجاهلي، والأدب الغربي، إلخ إلخ، لكن أدب، وإسلامي!! يبدو أنها معادلة صعبة؟ لا، هي ليست كذلك، فالمعادلة سهلة وبسيطة، ولنعد إلى البداية..

امتاز العرب في العصر الجاهلي بامتلاكهم فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وخطابة، فهم أهل الفصاحة والبلاغة، وعندما جاء الإسلام، اهتم بهذه الفنون وسخرها لخدمة الدعوة الإسلامية، ونذكر هنا أنه عندما نزلت الآية: «وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» ذهب كعب بن مالك رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله: ما ترى في الشعر؟ قال عليه السلام: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: «إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه»، وقال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم»، وبالتالي نصل إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حث على استخدام الشعر وغيره في سبيل الدعوة إلى الإسلام واعتبر ذلك نوعا من أنواع

الجهاد، وكلنا يعرف حسان بن ثابت شاعر الرسول الذي وظّف الشعر في خدمة الدين، وهذا جزء من قصيدة مشهورة له:

*إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بيَّنوا سنة للناس تتبع*

*يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا*

*قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا*

*سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع*

*إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع*

هكذا بدأ الأدب الإسلامي بالشعر والخطابة ثم تطور ليضم تحت مظلته أنواعا أخرى مثل القصة والرواية والمسرح والأناشيد.. وغيرها الكثير.

إن الأدب الإسلامي هو أدب ملتزم له هدف وغاية نبيلة جادة كما أنه يتسم بالواقعية، وهو أدب إيجابي وحيوي ومتطور، كما أنه يدعو إلى قِيَم ربانية ويحمل نزعة إسلامية، وهو ذو مفهوم فكري إسلامي يتميز عن غيره من الآداب بالمحتوى الذي يدعو إلى الفضائل والأخلاق الحميدة وإلى الخير والعمل الصالح.. إلخ.

لقد أصبحنا اليوم نتحدث عن آداب إسلامية وفنون إسلامية وأناشيد إسلامية، وهذه بادرة خير بأننا نسير نحو الأدب الملتزم؛ حيث يتم توظيف

الشعر والقصة والرواية والمسرح في التعريف بالإسلام وفي الدفاع عن قيمه ومبادئه أمام تيارات الإلحاد والكفر؛ حيث إن كل أدب يدعو إلى نشر الرذيلة أو الفكر الملحد مهما بلغ من درجات الرقي من حيث الإخراج والحبكة الفنية فهو أدب ساقط ناقص.

وليس المقصود بالأدب الإسلامي فقط الدعاء والتسبيح ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتغني بأمجاد المسلمين وفتوحاتهم وانتصاراتهم، بل تعدى ذلك ليشمل جميع نواحي الحياة المعاصرة، وآفاقه لا حدود لها؛ فهي تشمل جميع القضايا الإنسانية من مشكلات وعلاقات وسلوكيات وروحانيات وانفعالات، شأنه شأن باقي الآداب الأخرى، إلا أنه يتميز عنها بأنه أدب محترم.

وبذلك يكون الأدب الإسلامي «من وجهة نظري»: هو كل أدب تخطه يد أديب مسلم ملتزم ولا يخل بالضوابط الشرعية الإسلامية.

ولا بد لنا من التفريق بين مصطلح الأدب الإسلامي ومصطلح أدب العصر الإسلامي، فالأول لا يحده مكان ولا زمان، أما الثاني فهو يختص بأدب ظهر في عصر محدد.

وقد أصبح للأدب الإسلامي رواد كُثر من أمثال الكاتب علي أحمد باكثير، ود. نجيب الكيلاني وغيرهما من الكتّاب المسلمين الملتزمين الذين

أسهموا في انتشاره وتوسعه، يقول د. حامد أبو أحمد في «الأدب في خدمة الدعوة»: «وإذا كنا ندعو إلى توسيع الرؤية بحيث تشمل نقاط الاتفاق والاختلاف وتسمح بمد مظلة الأدب الإسلامي إلى كل أدب صادر عن حس إنساني راق وبقلم أديب مسلم، فإننا ندعو كذلك إلى دعم كل اتجاه يؤكد ويدعم كل ما كان للعرب والمسلمين من أثر فعال في الثقافة الإنسانية، وهذا الاتجاه يحظى بانتشار عالمي حاليا، ويكفي أن كثيرين من المهتمين بالثقافة الإسلامية صاروا يؤلفون فيه الكتب بكل لغات العالم».

ليس من الضروري أن يكون الأدب الإسلامي بمعزل عن باقي الآداب، أو يكون منغلقا على نفسه، بل على العكس، لا بد من الاختلاط بالثقافات الأخرى، يقول د. نجيب الكيلاني في «مدخل إلى الأدب الإسلامي»: «ولقد ضرب أسلافنا الإسلاميون العظام أروع المثل حينما لم يحجموا عن قراءة تراث الحضارات القديمة، وسهروا على النظر فيه، وترجمته ونقده، والرد عليه، سواء أكان إغريقيا أم هنديا أم فارسيا.. فنحن – قديما وحديثا – جزء من هذا العالم الكبير من حولنا، أعطيناه الكثير، وتبادلنا معه الخبرات والثقافات، وهذه سمة رائعة من سمات الحضارة الإسلامية الخالدة، التي تغذت بلبان الإسلام وترجمت بصدق عن فكره وروحه».

على الأديب المسلم أن يحمل رسالته على كاهله، وأن يعبر عن واقع

أمته بكل شفافية وموضوعية، وينقل للعالم أجمع فكر وعقيدة هذه الأمة، وأن يناقش قضاياها، إيجابياتها وسلبياتها، ويبحث في مشكلاتها ويضع لها الحلول المناسبة في ضوء الشريعة الإسلامية، وهذا ليس بالأمر الهين، بل يحتاج إلى جهد وعزيمة وثبات.

# من أين لنا كل هذه القسوة؟

ذهبت قبل فترة إلى بيت عـزاء لأحـد الأقـارب؛ حيـث كـان المتـوفى رحمة الله عليه يشكو من مرض السرطان، وقد عانى بما فيه الكفاية، صعدت روحه لبارئها بعد شـهور مـن المعانـاة ومـصارعة المـرض، رحلـة عـلاج مـن مستشفيات القطـاع الفقـيرة بـالعلاج الكيمـاوي إلى مـصر، ومـن ثـم إلى دولـة الاحتلال المسماة «غصبا عنا» إسرائيل، وفي النهاية إلى قبره تحت الثرى.

ذهبت لبيت المتوفى لكـي أعـزي زوجتـه وبناتـه بمـصابهن الألـيم، وكانت زوجته متأثرة جدا برحيله إلا أنها كانـت صـابرة بقـضاء الله وقـدره، تفحصت وجوه المعزين وباقي الأقـارب، ووجـدت كـل امـرأة تـضع رأسـها في رأس جارتها وتتحدث، إما عـن فلانـة أو علانـة، فتلـك المـرأة تـشكو قـسوة زوجها، وتلك تسخر من حماتها، والأخرى تشكو ارتفاع الأسـعار، وفي تلـك الزاوية تحاول أخرى إخفاء ضحكتها بكف يدها ولكن عيونها تفضحها.

سرحت بخيالي وسؤال يهاجمني بشراسة كالعادة، ليحـرق أنفاسـي ويشغل رأسي لوقت ليس بالقصير.. لماذا نحن هكذا؟ لماذا لم نراع شـعور تلـك المرأة المكلومة والحزينة؟ لماذا نستهين بالحدث الجلل الـذي نحـن بـه؟ لمـاذا

قست قلوبنا لهذه الدرجة؟ لماذا أصبحنا لا نهتم أو نراعي شعور الآخرين من حولنا؟ نجلس في حضرة الموت ولا يهتز لنا جفن ولا بدن؟

ألف علامة استفهام تحوم حول رأسي ولا أجد إجابة.

أصبحت قلوبنا قاسية، لا نهتم لشيء، حتى رؤية الدماء التي تسيل في شوارعنا ليلاً ونهارًا، أصبحت شيئا عاديا.

يرحل من يرحل، ويموت من يموت.. عادي!

تراق الدماء على جانبي الطريق... عادي!

مجرم يعذب طفلا حتى الموت.. عادي!

خال يغتصب ابنة أخته الصغيرة ثم يقتلها.. عادي!

أخ يخون أخاه مع زوجته وتحمل منه سفاحا.. عادي!

رجل يتنكر لوالدته ويرمي بها في دار للمسنين.. عادي!

أب يُكره ابنته على الزواج من رجل في عمره.. عادي!

أب يقتل أبناءه الثلاثة انتقاما من زوجته لطلبها الطلاق.. عادي!

شقيق يقتل شقيقته وزوجها وأبناءها لتغييرها عقيدتها.. عادي!

مناضل يقتل مناضلا من أجل الاختلاف في الرأي.. عادي!

مجرم يقتل ثلاثة أطفال انتقاما من والدهم.. عادي!

أكل مال اليتيم وأخذ الرشوة والتعامل بالربا.. عادي!

كل شيء أصبح عاديا في عصرنا الحالي.. أصبحت القسوة والظلم والطغيان والعتو عاديا.. ما هذا الزمن الذي نعيش فيه، تبلدت مشاعرنا وتحجرت قلوبنا وماتت ضمائرنا.

عندما حدنا عن الطريق المستقيم، عندما وضعنا أخلاقنا في معلبات ورميناها جانبا، عندما ابتعدنا عن قيم وتعاليم ديننا الحنيف، عندما تخلينا عن عاداتنا وتقاليدنا كعرب ومسلمين، عندما اخترنا دستورا وضعيا يحكمنا بدلا من كتاب الله، عندما حدث ذلك كله، كان لا بد من عقاب للجميع على أفعالهم، وتمثل العقاب في صورة القسوة التي غزت قلوبنا جميعا، فلم نعد نهتم إلا بمصالحنا الشخصية، لم نعد نهتم بالصالح العام، ومصلحة المسلمين، لم نأخذ في عين الاعتبار الآخرين الموجودين والمشاركين لنا في هذه الحياة، لا نكترث لزلازل اليابان، ولا نبالي لبراكين آيسلندا، ولا للحروب والمجاعات في القارة السوداء، ولا تدمع أعيننا حزنا على انقسام السودان ومجاعة الصومال، ولا نفكر فيما يحدث في ليبيا أو اليمن، ولا تونس ومصر، لا نتأثر بالمذابح في سوريا وفي غيرها، والأدهى من ذلك قول بعض حكامنا: «إنها شأنٌ داخلي»؟!!

منذ متى أصبحت شؤون المسلمين شأنا داخليا داخل كل دولة ولا يتعدى خارجها؟ منذ متى وضعت الحدود والأسلاك الشائكة بين الدول

العربية والمسلمة؟ منذ متى مُنع المسلم من دخول بلاد المسلمين بحجة جواز السفر أو الجنسية؟ منذ متى ومتى ومتى!!

أسئلة كثيرة تتصارع بداخلي أحاول أن أبحث عن إجابات لها ولا أجد. وأتذكر قوله جل جلاله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» سورة آل عمران: **110**.

أتأمل كلمة «كنتم» ويعتصر قلبي ألما وحزنا لما آل إليه وضع المسلمين في هذا العصر والأوان...

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» سورة الحديد: **16**.

يا إلهي.. أصلح قولنا وعملنا، وأبعد عنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، حنِّن قلوبنا وأزل قسوتنا ورقق مشاعرنا وطهر جوانحنا ووسع خُلقنا.

# هذه هي غزة، وتلك حربها..
# وهذه ذكرياتنا عنها..

*(في الذكرى الثانية للحرب)..*

مر عامان على حرب غزة ولكن ماذا تبقى لنا في الذاكرة منها، ذهبت تلك الأيام بحلوها ومرها، ذهبت وما زال شبح الحرب المقبلة يطاردنا في كل لحظة، بل في كل ثانية.

حاولت منذ صباح اليوم استرجاع ولو القليل من تلك الذكريات المؤلمة، فلقد كانت حرب غزة، والتي بدأت في صبيحة يوم 27 ديسمبر 2008، أول حرب أعايشها عن قرب، لقد جربت من قبل الاجتياحات والقصف والتوغل، لكن حربا بهذا الحجم وبهذا الدمار، لم أواجه مثلها من قبل، وكأن إسرائيل صبت جام غضبها وسخطها علينا.

بدأت بالقصف الجوي من طائرات إف 16 واستهدفت في بادئ الأمر المقرات الأمنية ومراكز الشرطة، واستشهد الكثير من أبنائنا تجاوز عددهم الـ300 شهيد، ثم أتبعت ذلك قصف لبعض الجامعات والمدارس والوزارات، ثم بدأت في قصف المنازل والأبراج السكنية، وأخيرا انتهت بقصف الأنفاق

بين غزة ومصر، ليبدأ فيما بعد مرحلة العملية البرية والتوغل من عدة محاور في قطاع غزة، وكان نصيب الأسد من التوغل حي تل الهوا في مدينة غزة، بالإضافة إلى المنطقة الشرقية من مدينة خان يونس ورفح وشرق غزة وبيت حانون.

أصعب ما واجهني في تلك الحرب، هو عجزي عن حماية طفلتي الصغيرة التي أكملت عامها الأول في ذلك الوقت، لم أكن قادرة على إجابة آلاف الأسئلة التي كانت تجول في خاطرها ويعجز لسانها عن النطق بها، كلما أسمع صوت القصف أبتسم وأقول لها بسعادة مفتعلة: «انظري إنها طائرة، إنها ألعاب في السماء! !» وكانت تبتسم على استحياء وهي تحاول أن تصدق أن هذه فعلا أصوات ألعاب في السماء.

ولكن ألعاب السماء استمرت ولمدة ليست قصيرة، إلى أن جاء يوم وخرجنا من البيت من شدة القصف، كنا خائفين أن يقع البيت فوق رؤوسنا، فخرجنا كغيرنا إلى الشارع، ووقفنا ننظر إلى السماء التي كانت تمطر صواريخ تعرف وجهتها تماما وهي منطقة الأنفاق، الكل يحمل أطفاله ولا يعرف أين يذهب بهم، فلا يوجد مكان آمن في غزة، لأول مرة رأتْ طفلتي بعض الأطفال يبكون ويصرخون ولا يدرون أين يذهبون، صراخهم اختلط بصراخ أمهاتهم لدرجة أني لم أعد أسمع صوت الصواريخ، أدركتْ ابنتي أن هذه الأصوات ليست

ألعابا ولكنها شيءُ آخر، وقامت بإخفاء رأسها في صدري دون أن تبكي، لا أعلم هل كانت مشفقة علي أم كانت معاتبة لي بسبب إخفائي للحقيقة عنها!!

بدأت طائرات العدو الصهيوني بإلقاء المنشورات علينا تطلب منا إخلاء بيوتنا لرغبتها في قصف المنطقة، كما استخدمت قوات الاحتلال لأول مرة الهاتف حيث بدأت بالاتصال بالمواطنين لتحذيرهم والطلب منهم مغادرة المكان حفاظا على حياتهم، والتوجه إلى أماكن أكثر أمنا (!). ولكن أيوجد مكان آمن في غزة؟ إن الموت يطاردنا من شارع لشارع، ومن بيت إلى بيت، ومن حارة إلى حارة، ومن مدينة إلى أخرى.

بدأت رحلة البحث عن ملاذ آمن، ولكن أين نذهب؟! لا يوجد مكان ولا أمان.. على الرغم من ذلك اكتشفت في هذه الحرب أنه ما زال لدينا قلوب، على الرغم من غلظتها، تحن وتخشع، بدأت العائلات الغزية تلتف حول بعضها البعض، تستقبل من قُصف بيته، وترسل بالماء والحليب والطعام إلى من يحتاجه، وتؤوي من فقد عائلته، تساعد في عملية إنقاذ وإسعاف الجرحى والمصابين، وتبحث بين الأنقاض عن الجثث وتقوم بدفنها، هذا ما جعل لتلك الأيام حلوها ومرها.

إن الحرب لها وجهُ قبيح بشع شأنها شأن باقي الحروب في الدنيا كلها على مر العصور، لا تفرق بين مقاتل ومواطن، بين رجل وامرأة، بين

طفل وشاب، لقد هالني رؤية أشلاء الأطفال وهي مبعثرة هنا وهناك، عائلات بأكملها دفنت تحت أنقاض منزلها وبقيت هناك لا أحد يعلم عنهم شيئًا، بدأنا نسمع القصص الغريبة والحزينة، والتي لا نسمعها كل يوم، تلك الأم التي لفظت أنفاسها الأخيرة في حضن ابنها الذي لم يستطع فعل شيء لإنقاذها، وذلك الرجل الذي حمل طفله الرضيع وأخذ يجوب الطرقات بحثا عن إسعاف لإنقاذ ما تبقى منه! وذلك المقاوم الذي بدأ ينزف منذ أكثر من يومين ليستشهد فيما بعد، وقصة معتقلي سجن السرايا، وتلك المرأة التي شهدت مصرع أبنائها جميعهم أمام عينيها، وتلك المرأة.. وذلك الرجل.. وتلك.. وذاك.

قصصٌ عن الموت بالجملة، قصصٌ مخيفة تحاول أن تسد ذاكرتك قبل أذنك لكي لا تسمعها ولا تحفظها.

لم ينتصر أحد في هذه الحرب، لا إسرائيل ولا حكومة غزة، فإسرائيل لم توجه الضربة إلى فصيل معين، بل وجهتها لشعب غزة عقابا وتأديبا له على اختيارٍ قام به.

هذه هي غزة، وتلك حربها، وهذه ذكرياتنا عنها..

حربٌ سمتها إسرائيل عملية الرصاص المسكوب، وسمتها حكومة

غزة معركة الفرقان، وسميتها أنا حرب الخسران المبين، خسرنا فيها خيرة شبابنا، خسرنا فيها أطفالنا وبيوتنا، كرامتنا وإنسانيتنا، خسرنا كل شيء، ولم يبق لنا إلا البكاء على من رحلوا، وذكريات تنكأ جراحنا التي تأبى أن تلتئم، وانتظار مجهول يتربص بنا بين الحين والآخر.

# القدس المنسية

عذرا يا قدس الأقداس فلم تعودي قضيتنا الأولى، أصبحت قضيتنا هي فك الحصار عن غزة وكيفية إدخال الكهربـاء إليهـا ، أصـبحت قـضيتنا الأولى توفير المواد الغذائية وغاز الطهي ومواد البناء، أصبح شـغلنا الـشاغل تجـارة الأنفاق، وثمن ربطة الخبز، وثمن جرة الغاز، وخصومات شركة الكهربـاء، وأسعار السولار والبنزين، ونسينا أو تناسينا أن غزة المحاصرة والمنكوبة هي جزء من القضية الأساسية والأصلية وهي فلسطين المحتلة.

أصبح شغلنا الـشاغل الحـديث عـن المـصالحة الوطنيـة وإنهـاء قـضية المعتقلين السياسيين في غزة والضفة.

أصبح حـديث الـساعة مـن هـى الحكومـة الـشرعية حكومـة غـزة أم حكومة رام الله؟ ولكن أين القدس من أجنـدتنا؟ لم نعـد نتحـدث عـن القـدس والمسجد الأقصى، لم نعد نتحدث عن الأسرى واللاجئين وحـق العـودة، لقـد نجحت إسرائيل في تفريق شملنا، واستغلال قيلولتنا الطويلة لتقـوم بتوسـيع الاستيطان في القدس وطرد أهلها وتشريدهم وبناء المعابد اليهودية فوق المقابر الإسلامية، وتقوم بمزيد من الحفريات تحت المسجد الأقصى وتنقـل مكاتبهـا

السياسية واليهودية إلى القدس الشريف.

إن إسرائيل تعيش اليوم أفضل أيامها على الإطلاق، تنام وتصحو في سلام وسكينة من دون خوف من الفلسطينيين المشغولين عنها في توافه الأمور.

متى سُمعت صفارات الإنذار في إسرائيل آخر مرة، لم تعد تُسمع تلك الصفارات، لم يعد الإسرائيليون يعرفون طريق الملجأ والاختباء تحت الأرض.

والفضل يعود إلى حكومتي غزة ورام الله، اللتين تضربان بيد من حديد كل من تسول له نفسه مضايقة الجار العزيز!!

إن القدس تصرخ وتستنجد أبناءها الغارقين في مصالحهم السياسية الحزبية ولسان حالها يقول: قد أسمعتَ لو ناديتَ حيا ولكن لا حياة لمن تنادي.

*فالنورُ كيف ظهوره إن لم يكن دمنا الوقود*

*والقدسُ كيف نعيدها إن لم نكن نحنُ الجنود*

نريد أن نصلي نحن والملايين من العرب والمسلمين في القدس قبل أن نموت.

كل الطيورِ تعود في ذيل النهار .......... إلا أنا يا قدس أخطأني القطار

أفيقوا يا حكامنا ويا صناع قرارنـا، أنهـوا الانقـسام، وحـدوا الكلمـة والصف، أجمعوا الشمل، اجعلوا القلوب على قلب رجل واحد، ولا تنـسوا أن القدس أمانة في أعناقنا سوف نُسأل عنها يوم القيامة.

## العلمانية كما أراها

استوقفتني بالأمس إحدى المقالات التي يتحدث كاتبها عن العلمانية، وأن العلمانية هي مخلّصة البشرية من التخلف والرجعية، لقد استفزني هذا الكاتب بما كتب؛ حيث إنني أبغض العلمانية ودعاتها، فقررت أن أرد عليه لعلي أفنّد كذب ما كتب.

أيقظت المارد الذي بداخلي والذي يسعى دوما لسبر أغوار أي معلومة مبهمة تعترضه، فتوجهت إلى مكتبتي المتواضعة لعلي أجد بعض الكتب التي تتحدث عن العلمانية، ولقد وجدت فعلا بعضا منها وهذه خلاصة ما توصلت إليه.

### تعريف العلمانية:

العلمانية تعني اصطلاحا فصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة العامة، والعلمانية هي ترجمة غير صحيحة لكلمة secularism بالإنجليزية أو sécularité بالفرنسية، والترجمة الصحيحة لها هي «الدنيوية» أو «اللادينية»، وهي كلمة غير مشتقة من العلم، كما يزعم البعض، وذلك للكذب على الناس بهدف تحسين صورتها.

وإذا بحثنا عن كلمة علماني في اللغة نجدها تعني:

1. دنيوي أو مادي.

2. ليس دينيا أو روحانيا.

العلمانية هي نظرية تقول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية.

وهي حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدنيا فحسب.

## بداية ظهور العلمانية:

ظهرت العلمانية في فرنسا بعد الثورة سنة 1789م، وذلك كرد فعل على تحريف الإنجيل وطغيان وتحكم الكنيسة في المواطنين وإعدام العلماء والمفكرين بسبب تعارض الإنجيل مع الحقائق العلمية الثابتة، وبالتالي بدأ الأوروبيون بالبحث عن مخرج من تحكم وظلم الكنيسة المتحالفة مع الحكام الطغاة، ومن هنا كانت نشأة العلمانية.

هذا بالنسبة للإنجيل وما وقع عليه من تحريف وتزييف وتبديل، أما القرآن الكريم فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والإسلام يحافظ على مصالح الناس ويحض على العلم ويكرم العلماء، كما أنه لا يوجد

فيه ما يعارض أي حقيقة علمية تم اكتشافها قديما أو حديثا، وهذا بشهادة علماء الغرب أنفسهم حيث يقول هورتن:

«في الإسلام وحده تجد اتحاد الدين والعلم. فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما. فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرة العلم. وترى وجهة الفلسفة ووجهة العلم متعانقتين، فهما واحدة لا اثنتان»، ويقول إتيان دينيه:

«إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة في سبيل الفكر، فقد يكون المرء صحيح الإسلام، وفي الوقت نفسه حر الفكر، ولا تقتضي حرية الفكر أن يكون المرء منكرا لله. لقد رفع (محمد) قدر العلم إلى أعظم الدرجات، وجعله من أول واجبات المسلم».

تتفق العلمانية مع الديانة المسيحية في فصل الدين عن الدولة «أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية، يقول تعالى في كتابه المحكم: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). [الأنعام: 162]

وقد وصلت العلمانية إلى العالم الإسلامي مع الاستعمار الحديث؛ حيث دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت.

## أشكال العلمانية وصورها:

1. العلمانية المُلحدة «الشاملة»: وهي التي تنكر الدين كلية وتنكر وجود الله.

2. العلمانية غير المُلحدة «الجزئية»: وهي التي لا تنكر الدين ولا تنكر وجود الله، ولكنها ترفض تدخل الدين في الدنيا وتدعو لفصل الدين عن السياسة، وأن الدين هو علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله أو أفعاله خارج مكان العبادة، ويعتبر هذا الشكل هو الأخطر على عوام المسلمين.

وغالبا ما نجد الكثير من العلمانيين في الوطن العربي والعالم الإسلامي يطلقون على أنفسهم لقب المفكرين، ومنهم الأدباء والكتّاب والصحفيون الذين يعملون في المجال الإعلامي، وهم على اتصال مباشر مع العوام من خلال وسائل الإعلام الكثيرة والمنتشرة، وبالتالي فهم أخطر فئة على عوام المسلمين.

## مظاهر العلمانية في العالم العربي والإسلامي:

1. البعد عن الشريعة الإسلامية والاستعاضة عنها بالقوانين الوضعية، واعتبار الدعوة إلى الحكم بالتشريع الإسلامي هو دعوة للتخلف والرجعية.

2. الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة ومحاولة تزييف التاريخ الإسلامي وتصويره على أنه تاريخ همجي.

3. الزعم بأن الإسلام عبارة عن طقوس وشعائر روحية وأنه لا يتلاءم مع الحضارة.

4). العمل على تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات العلمانية على أنها حركات إصلاح وتغيير.

5. إفساد التعليم وجعله خادما لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق:

1- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية المختلفة.

2- جعل مادة الدين مادة مهمشة لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

3- منع المعلمين المتدينين من التدريس حتى لا يؤثروا في الطلاب.

6. نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وذلك عن طريق:

1- وضع قوانين تبيح ممارسة الرذيلة «الزنا والشذوذ» وذلك تحت عنوان الحرية الشخصية.

2- استخدام وسائل الإعلام المختلفة في محاربة الدين والفضيلة ونشر الرذيلة.

3- محاربة الحجاب بوصفه دليلا على الرجعية والتخلف والدعوة

إلى السفور والاختلاط.

4- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

7. محاربة الدعوة الإسلامية وذلك عن طريق:

1- العمل على عدم نشر الكتب الدينية والسماح للكتب المنحرفة بالنشر من باب الحرية الفكرية!!

2- مطاردة الدعاة ومحاربتهم والتخلص منهم بالنفي أو السجن أو القتل.

8. إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله واعتبارها نوعا من أنواع الإرهاب، والقتال الجائز عندهم هو فقط القتال للدفاع عن المال أو الأرض.

9. الدعوة إلى القومية أو الوطنية والبعد عن الدين.

وسائل العلمانية لنشر الفساد في العالم العربي والإسلامي:

1. إغراء ذوي النفوس المريضة من المسلمين بالمال أو المنصب أو النساء وذلك لبث سموم العلمانية عبر الوسائل الإعلامية للعوام من الناس وذلك لإظهارهم بمظهر العلماء والمفكرين.

2. منح الجوائز العالمية لدعاة العلمانية بهدف إيهام الناس بأنهم هم خيرة وصفوة المجتمع.

3. الحديث عن المسائل الخلافية في الدين وتضخيم ذلك حتى يعتقد الناس أنه لا يوجد شيء مؤكد في الدين وبالتالي الانصراف عنه.

4. إنشاء المدارس والجامعات والمراكز الثقافية الأجنبية التي تختبئ العلمانية بين ثناياها حيث تعمل على نشر الفكر العلماني بين أبناء المسلمين.

## دور اليهود في نشر العلمانية:

لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلا بينهم وبين شعوب الأرض، فإذا نظرنا إلى مؤسسي العلمانية ودعاتها الأوائل نجد أن غالبيتهم من اليهود أمثال: دور كايم – فرويد – كارل ماركس صاحب مقولة: «الدين أفيون الشعوب» وغيرهم.

ولقد حاول اليهود تعميم نظرية «العداء بين العلم من جهة والدين من جهة أخرى» لتشمل الدين الإسلامي، على الرغم من أن الإسلام لم يقف موقف الكنيسة ضد العلم، بل كان سباقا إلى تطبيق المنهج التجريبي ونشر العلوم.

ولقد شنت العلمانية حربا على كل الأديان، وفي مقدمتها الإسلام، أما

الديانة اليهودية فلم تتعرض لها بحجة أن اليهود شعب مظلوم، يحتاج لدينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!!

## أسباب تسرب العلمانية إلى العالم الإسلامي:

1. انحراف الأمة الإسلامية وتأخرها في القرون الأخيرة، وكان من أهم سمات هذا الانحراف هو ذلك الانحراف عن فهم الإسلام نفسه وانحسار مفهوماته التصورية في معان ضيقة ومدلولات محدودة.

2. التخطيط الغربي اليهودي، فلقد أدرك الغرب من تجربة الحروب الصليبية أن قوة المسلمين في دينهم، وأنه لا سبيل إليهم إلا بتحطيم هذا الدين، وصرح بذلك الهدف رئيس وزراء بريطانيا جلادستون عندما وقف في مجلس العموم البريطاني يتحدث عن خطة الاستعمار البريطاني في العالم الإسلامي فقال:

«ما دام هذا القرآن موجودا بين أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان».

## هدف العلمانية في العالم الإسلامي:

1. جعل الأمة الإسلامية تابعة للغرب سياسيا وثقافيا وأخلاقيا واقتصاديا.

2. عزل الدين الإسلامي عن توجيه حياة المسلمين وبالتالي إضعافهم وسهولة التحكم بهم وجعلهم غثاءً أحوى.

3. إقصاء الشريعة الإسلامية ليزول عن المسلمين الشعور بالتميز والاستقلالية، وبالتالي تحقيق التبعية للغرب.

## حكم العلمانية في ظل الدين الإسلامي:

الإيمان بالعلمانية واتخاذها كمبدأ أو أسلوب أو نهج حياة يُعتبر كفرا ونقضا من نواقض الإسلام، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز:

«ويدخل في القسم الرابع – أي من نواقض الإسلام – من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببا في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى»..

فالعلمانية تعني أن يعتقد الإنسان بأنه غير ملزم بالخضوع لأحكام الله في كل نواحي الحياة، ومن اعتقد هذه العقيدة فهو كافر بإجماع العلماء، قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ). المائدة: 44 وقال تعالى أيضا في سورة النساء: 65: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

يرى العلمانيون «أن الإنسان كائن متغير، ومن ثم ينبغي أن تكون الأحكام التي تنظم حياته متغيرة فلا تصلح له شريعة جوهرها الثبات، وأن هذا يعني الحجر على الإنسان والحكم عليه بالجمود الأبدي»، هذا إذا قارناه بالأديان الثابتة والجامدة وليس الدين الإسلامي، إن التزام الإنسان بشريعة الله لا يعني الحجر عليه؛ لأن الله أودع في الشرائع عنصري الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معا، فالثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب، الثبات على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشئون الدنيوية والعلمية.

إن الشريعة الإسلامية قد تركت للعقل البشري مساحات واسعة للتفكير والابتكار والإبداع، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» رواه مسلم، وقال أيضا: «ما أحل الله فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا، ثم تلا (وما كان ربك نسيا). (سورة مريم: 64). ومثله حديث: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا

عنها» رواه الدارقطني.

## واجب المسلمين في محاربة آفة العلمانية:

إن المسلم ليحمل على كاهله لواء محاربة العلمانية وغيرها من الآفات التي تنخر في جسد الأمة الإسلامية يوما بعد يوم، وهذه مهمة ليست هينة بالمطلق، ففي ظل تراجع وتخلف الأمة وطغيان الحكام وبعدهم كل البعد عن الدين، وضياع الشباب المسلم وبعده عن الدين والعلم، وانغماسه في الشهوات والملذات، أصبحت محاربة العلمانية ضربا من الخيال، وهذا ليس مدعاة إلى الركون والشعور بالخيبة والانهزام، بل على العكس لا بد علينا محاربتها؛ كلٌ في موضعه ومكانه بلا كلل أو ملل، فهجمة العلمانية علينا كانت شرسة وقد تغلغلت كثيرا في المجتمع، ومحاربتها ليس بالأمر السهل أو الهين، فهي تحتاج إلى إعداد وخبرة وجهود وجهاد وبذل وتضحية، وهذا واجب وفرض على كل مسلم غيور على دينه.

وهناك عدة خطوات يجب على المسلم اتباعها في مكافحة هذه الآفة وهي:

1. العمل على أسلمة المناهج بحيث تصب في خدمة الإسلام.
2. تنقية وتنقيح الكتب الدراسية والمواد العلمية من الكفريات المدسوسة بها.

3. نشر العلم الصحيح بين المسلمين وتوعيتهم بأمر دينهم عقيدة وأحكاما وأخلاقا؛ وذلك لحمايتهم من التأثر بالآخرين.

4. إعداد مطويات مختصرة تكشف النقاب عن الوجه القبيح للعلمانية.

5. دعم المسلمين الذين يحاربون العلمانية بكافة وسائل الدعم المالي والأدبي والإنساني.

6. إن مكافحة العلمانية وفضح مآربها هو واجب على كل مسلم ومسلمة.

7. السير على منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عند البعض.

8. الالتزام بالأخلاق والضوابط الإسلامية في كل تعاملاتنا اليومية وليس فقط في العبادات.

9. تنشئة الأبناء تنشئة إسلامية قائمة على تعاليم الإسلام الصحيحة.

10. وجوب العمل لإحلال شريعة الله محل شريعة الكفر وعدم الرضا بأي قانون أو تشريع يخالف شريعة الله.

# المراجع

1- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

2- العلمانية وثمارها الخبيثة، لمحمد شاكر الشريف.

3ـ «الناقض الرابع من نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتاب العقيدة الصحيحة للشيخ عبد العزيز بن باز، ص 28».

4- العلم في الإسلام، للدكتور أبو الوفا التفتازاني.

5- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب.

6- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، للدكتور علي جريشة.

7- العلمانية، للشيخ العلامة سفر الحوالي.

8- بعض المواقع على شبكة الإنترنت.

وأخيرا، هذا ما توصلت إليه بعد بحث ودراسة استمرت أكثر من أسبوع، أشعر الآن بالراحة النفسية؛ لأنني أشبعت روحي المتعطشة لمعرفة وتحليل ما تسمى العلمانية، وأتمنى أن أكون قد أصبت كبد الحقيقة من خلال هذه المادة البحثية، والتي استفدت منها كثيرا، وأتمنى أن تستفيدوا منها أنتم أيضا.

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام: 162.

# استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في خطبة الجمعة

طالعتنا الصحف العربية قبل فترة بخبر عن نية بعض الحكومات الخليجية استخدام الوسائل التقنية الحديثة في خطبة الجمعة حيث انقسم العلماء حول ذلك ما بين مؤيد ومعارض، وكل طرف بدأ في سرد أسبابه للرفض أو القبول، فالبعض قال: إنه لا مانع من إعمال الفكر والاجتهاد، والبعض الآخر قال: إنه نوع من الترف العلمي الذي لا تحتاج له خطبة الجمعة.

أعتقد أن استخدام تلك الوسائل الحديثة من شاشات عرض ووسائل توضيحية وعرض أفلام علمية ودينية عبر برامج الكمبيوتر مثل «الباوربوينت» واستخدام «البروجكتور» وغيره من الأجهزة الحديثة قد تكون مفيدة نوعًا ما في الدروس الدينية التي تعطى للمسلمين بعد الصلاة؛ حيث توضح لهم الكثير من الأمور التي تخصهم مثل شعائر ومناسك الحج، وتعليم كيفية الوضوء والصلاة للأطفال، ولكنها غير مفيدة في خطبة الجمعة؛ لأن خطبة الجمعة عبارة عن موعظة وتذكرة، ومدتها لا تتجاوز النصف ساعة، فلِمَ استخدام هذه الوسائل التي يمكن أن تشتت انتباه المصلي عن

الخطبة نفسها، كما أنه رُوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:

«إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب، فقد لغوت».
متفق عليه، وقوله أيضا:

«من مس الحصا فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له».

وهناك من ينادي بالتجديد والتطوير على أساس أن التطور هو سنة كونية، وفي اعتقادي أن الدين الإسلامي مرن ويتطور بحيث يتلاءم مع كل الظروف في كل زمان ومكان، وكلنا يعلم أنه يتم استخدام التكنولوجيا في خطبة الجمعة، هذا إذا اعتبرنا أن الميكروفون والسماعات الخارجية من التكنولوجيا وهي لم تكن في عهد الرسول صلوات الله عليه، ولا ضير في استخدامها، وبما أن العين مغرفة الكلام، فيجوز أيضا من وجهة نظري استخدام شاشة عرض كبيرة لنقل خطبة الإمام للمصلين خارج المسجد في حالة عدم وجود متسع بداخله، وبالتالي نكون قد وظفنا التكنولوجيا في الخطبة من دون المساس بها.

إن لخطبة الجمعة هيبة ومنزلة عظيمة فقد قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الجمعة: 9.

وفيها يجتمع عموم المسلمين تحت قبة مسجد واحد يتذكرون نعم الله عليهم وفضله، ويحثون بعضهم البعض على شكر تلك الـنعم.. وبالتـالي فـإن خطبة وصلاة الجمعة هي عبـادة، فلـيس مـن الـضروري تحميلـها أكثـر مـن اللازم، واتـهامها بالقصور في منظومة التطور والحداثة.

# أنفاق غزة

يكثر الحديث هذه الأيام عن نية الحكومة المصرية تدمير الأنفاق بين قطاع غزة المحاصر وبينها، وذلك بهدف القضاء على تهريب المخدرات والسلاح والعناصر المشبوهة والمطلوبة من قبل الأمن المصري.

ولكن كيف بدأت قصة الأنفاق؟ ومن أين جاءت وما هي استخداماتها؟ دعونا نلقي نظرة على الموضوع.

بدأت فكرة حفر الأنفاق منذ زمن؛ حيث استخدمها المحاربون قديما للتسلل إلى داخل أراضي العدو ومفاجأتهم في عقر دارهم بالتعاون مع الجواسيس والعملاء من الداخل.

ثم استخدمها الفيتناميون في مقاومتهم للغزو الفرنسي وفي حربهم «حرب فيتنام الشهيرة» ضد أمريكا؛ حيث قاموا بحفر الأنفاق بهدف مباغتة عدوهم وتهريب السلاح والعتاد.

وفي عام 1978م تم الكشف عن نفق كبير وطويل يمتد من كوريا الشمالية إلى كوريا الجنوبية ويسمح بعبور جيش كامل، كما يجب أن لا

ننسى الأنفاق الألمانية التي تم حفرها في برلين الشرقية للعبور إلى برلين الغربية إبان الحكم الاشتراكي وتقسيم المدينتين.

يطلق على الأنفاق مصطلح «المعابر الأرضية» وهي وسيلة مواصلات حديثة؛ حيث يعبرها يوميا المئات من أبناء الشعب الفلسطيني في الاتجاهين وبرسوم وإذن من حكومة حماس؛ وذلك لصعوبة العبور من معبر رفح بسبب الإجراءات المتعسفة والحجز والمنع والترحيل، فنجد بعض التجار، وأيضا الطلبة الذين يدرسون في مصر، جميعهم يستخدمون الأنفاق للذهاب إلى مصر وإنهاء مصالحهم هناك والعودة مرة أخرى، كما يقوم بعض المصريين من أصول فلسطينية بالمجيء إلى قطاع غزة لزيارة الأهل والأقارب والعكس صحيح.

وتعتبر الأنفاق مصدر رزق مهما، خاصة للشباب العاطل عن العمل والأطفال الفقراء، ففي ظل الحصار المفروض على القطاع وعدم توفر فرص عمل، يلجأ الكثير من الشباب للعمل داخل النفق مما يترتب عليه تعريض حياتهم للخطر، خطر انهيار النفق أو تسرب الغازات والاختناق.

وتستخدم الأنفاق لتهريب السلاح والمخدرات، خاصة «الترامال والحشيش»، والبضائع التجارية على اختلافها والمواشي والدخان «السجائر»، بالإضافة إلى تهريب المواد الغذائية اللازمة ومواد البناء من حديد وأسمنت وحصمة، والأدوية وغاز الطهي والبنزين ومشتقاته،

والمولدات الكهربائية والدراجات النارية، وفي أثناء ثورة ليبيا تم تهريب السيارات الليبية وبيعها في غزة.

كما يتم عن طريقها تهريب المجرمين الفارين من مصر لغزة والعكس؛ وذلك للاختباء والهروب من العدالة، كما لُوحِظ في الفترة الأخيرة وجود متسولات مصريات في مدينة غزة.

أما بالنسبة لملكية الأنفاق، فمنها ما تعود ملكيتها لعائلات معينة أو أحزاب سياسية أو حتى عصابات.

وتفرض حكومة غزة الضرائب على تجار الأنفاق؛ حيث يتم دفع ضريبة لحفر النفق ونسبة من كل عملية تهريب، ويتم ذلك تحت مراقبة وإشراف من الحكومة.

وقد أصدر أحد الشيوخ الفلسطينيين «وهو الشيخ محمد أبو جامع عام 2010م» فتوى بتحريم العمل في الأنفاق والتهريب؛ وذلك استنادا إلى قاعدة: «درء المفاسد أولى من جلب المصالح»، وقد لاقت أصداء كبيرة في الشارع الفلسطيني الذي انقسم على نفسه قسمين: منهم من أحل العمل بها ومنهم من حرمها.

وفي عام 2010 بلغ عدد ضحايا الأنفاق – التي يزيد عددها عن ألف

نفق – في مدينة رفح جنوب قطاع غزة نحو 160 شهيدا منهم ما يزيد على 30 طفلا، وأكثر من 650 مصابا.

ولقد طالبت الكثير من المؤسسات الدولية بوقف عمالة الأطفال في الأنفاق حيث يقوم أصحاب الأنفاق باستخدامهم للعمل وذلك لصغر أحجامهم وقلة أجورهم بالمقارنة مع البالغين.

ومن الجدير بالذكر أن حركة حماس قد قامت بحفر الأنفاق تحت مقرات الأمن الوقائي وغيرها، ومن ثم التسلل عبرها وتفجير هذه المقرات وذلك أثناء الانقلاب أو الحسم العسكري عام 2007م.

كما يقوم الكيان الصهيوني بقصف الأنفاق – بشكل دوري – والتي يتم عن طريقها تهريب السلاح للمقاومة، كما حاول إقامة مشروع محور فلادلفيا وذلك قبل الانسحاب من قطاع غزة عام 2005م.

وقد حاولت الحكومة المصرية السابقة تدمير الأنفاق منذ بداية حفرها، ولكن محاولاتها باءت بالفشل، وذلك بسبب إعادة بناء الأنفاق المدمرة، بالإضافة إلى الانتقادات والضغوط الشعبية التي واجهتها، كما حاولت بناء الجدار الفولاذي الذي توقف العمل به منذ قيام الثورة المصرية.

والآن تحاول الحكومة المصرية الجديدة تدمير الأنفاق وذلك لمنع

تسلل بعض العناصر الفلسطينية المشبوهة من الدخول إلى سيناء وإحداث فوضى وزعزعة الأمن هناك، وتقوم بعملية التدمير بطريقة آمنة نظرا لطبيعة المنطقة، ويتم تفجير النفق إذا كان في منطقة خالية من السكان، أما إذا كان في منطقة سكنية فيتم ردمه بالحجارة.

وقد بدأت حملة تدمير الأنفاق ثاني أيام عيد الفطر، وهي تستهدف فقط الأنفاق غير الخاضعة لسيطرة حركة حماس عليها، والمحتمل تهريب تلك العناصر من خلالها، وما زالت الحملة مستمرة حتى هذه اللحظة.

هذه هي قصة أنفاق غزة كما أراها، فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

# كرم إلهي

من الجميل أن يستشعر الإنسان كرم الله معه.. شعرت بهذا الإحساس عندما خرج الأسرى الفلسطينيون من سجون الاحتلال الإسرائيلي ضمن صفقة شاليط بعد أن قضوا زهرة شبابهم خلف القضبان..

خرجوا من السجن.. لم يفقدوا الأمل أبدا طوال تلك السنوات.. اجتهدوا وأكملوا تعليمهم من داخل السجن.. وأتموا حفظ القرآن الكريم.. وكان الأمل يحدوهم في الخروج ذات يوم لينعموا بالحرية ويعوضوا ما فاتهم.. ولقد صبروا لقضاء الله.. فكافأهم الله على ذلك الصبر..

«وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا»

خرجوا من السجن.. ليتنسموا عبير الحرية ويستقبلهم آلاف من أبناء شعبهم في ملحمة تاريخية.. احتفالات في كل مكان ومهرجانات ولقاءات.. رووا عطشهم من رؤية الأحباب والخلان والأقارب..

يا ظلامَ السّجنِ خَيِّمْ إنّنا نَهوَى الظلامَا

ليسَ بعدَ الليلِ إلا فجرُ مجدٍ يتَسَامى

يا رنين القيدِ زدني نغمة تُشجي فؤادي

إنّ في صَوتِكَ مَعنى للأسى والاضطهادِ

وأكمل الله فضله عليهم حيث أنعم عليهم بالحج لبيته الحرام.. وفجأة من أربعة جدران في زنزانة ضيقة إلى فضاء الله وبراحه.. من كان يصدق ذلك..

يا دامي العينين والكفين

إن الليل زائل...

لا غرفة التوقيف باقية

ولا زرد السلاسل...

وعاد الحجاج من مكة ليبدءوا في إكمال حياتهم.. فمنهم من تزوج لتكتمل فرحته وفرحة الجميع به.. ومنهم من احتضن أبناءه وفرح بفلذات أكباده..

وحل ربيع الأسرى الفلسطينيين.. واكتملت فصول الرواية السعيدة التي أمتعتنا على مدار شهر كامل..

قال ابن تيمية مرة: «ما يصنع أعدائي بي، أنا جنّتي في قلبي، وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي لا تفارقني: إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، وإن أخرجوني فإخراجي من بلدي سياحة».

## وفي انقطاع الكهرباء فوائد سبع

*الفائدة الأولى:*

تأتي فاتورة الكهرباء آخر الشهر بـ70 شيكلا فقط. «لا أعتقد ذلك»..

*الفائدة الثانية:*

تجد الوقت الكافي للجلوس مع زوجتك وأولادك بدلا من أن تقضي الساعات الطويلة أمام التلفاز أو شاشة الكمبيوتر التي تلحق الضرر بعينيك!!

*الفائدة الثالثة:*

تبحث عن وسيلة ترفيه لتقضي بها السبع ساعات وخير وسيلة هي قراءة الصحف والمجلات والكتب الهادفة.

*الفائدة الرابعة:*

تقربك من الله عز وجل وذلك لشعورك بالضيق والاكتئاب من الانقطاع المتواصل للكهرباء وبالتالي تقضي وقتك بصلاة النوافل وقراءة القرآن وزيارة الأرحام!!

*الفائدة الخامسة:*

تقتل الانتظار بالاستغفار.

*الفائدة السادسة:*

تشعر بمعاناة البلدان الفقيرة مثل الصومال وجيبوتي «لا ماء ولا كهرباء» ويزداد تعاطفك مع الشعب العراقي الذي يعاني انقطاع الكهرباء لأكثر من عشرين ساعة في اليوم.

*الفائدة السابعة:*

تساهم في إنعاش تجارة الأنفاق، خاصة تجارة الشمع والمولدات الكهربائية والبنزين!!

# إبداع قليل الأدب*

يربط البعض مفهوم الإبداع بأنه الخروج عن المألوف، فنجد الكثيرين ممن يبحثون عن مكان لهم وسط المبدعين يسعون لكسر كل القيود التي تعيقهم، سواء أكانت اجتماعية أو أخلاقية أو حتى دينية.

نجد مثلا صحفية فلسطينية تحصد جوائز دولية؛ لأنها تهاجم الأخلاق والفضائل وتدافع عن حقوق المثليين العرب بحجة الحرية الشخصية، ومخرجة فلسطينية سينمائية تستعين بمشاهد عري وألفاظ بذيئة في أفلامها فتصل للعالمية.

مثقف فلسطيني يكتب بجوار خانة الديانة في صفحته على الفيس بوك: كافر، فيزيد عدد معجبيه.

كاتب عربي يهاجم الأخلاق ويتطاول على الذات الإلهية (معاذ الله) في روايته ولا تعرف هل هي رواية أم وليمة ليكافَأ من الغرب بأعلى الجوائز!

وأخر يزوّر التاريخ ويشوه الإسلام، فنجده قد حصل على أرفع

---

* تم نشره في كتاب أبجدية إبداع عفوي

الأوسمة وأرفع الجوائز التقديرية من الدولة.

فنان ينحت تمثالا لامرأة عارية ليلقب بفنان الإبداع الذي لم تلده ولادة!

وآخر يرسم رجالا ونساء عرايا فيطلق عليه لقب الفنان الرسام التشكيلي السرياني التكعيبي إلى آخره!

وهكذا، أصبح الإبداع مرهونا بقلة الأدب، كلما كنت قليل الأدب كنت أكثر إبداعا، هذا هو حال المثقفين والمبدعين في عالمنا العربي.

أما إذا كنت كاتبا أو مفكرا ملتزما فهذا يعني أنك رجعي متخلف، ليس لك علاقة بالإبداع لا من قريب ولا من بعيد، كيف تكون مبدعا وأنت تحافظ على إنسانيتك ومبادئك، كيف تكون حضاريا وأنت ما زلت ملتزما بتعاليم دينك وأخلاقك الحميدة، كيف تكون مثقفا إذا لم تكفر بكل ما تربيت ونشأت عليه من قيم وأخلاقيات، كيف تكون مفكرا واعدا إذا لم تشذ عن القاعدة وتكسر كل القوانين والأنظمة.

هذا هو مفهوم الإبداع في عصرنا الحالي للأسف، الكثير من أبنائنا يفهمون الإبداع بطريقة خاطئة، وعذرهم أن المبدعين الملتزمين مغمورون لا مستقبل لهم، لا جوائز ولا تكريم ولا شهرة، لا يحصلون على شيء في النهاية.

وهذا ما يريده الغرب والأنظمة الفاسدة في مجتمعاتنا، يريدون أن يوصلوا رسالة للشباب مفادها: لكي تكون مبدعا لا بد أن تكون فاسقا، لكي تكون مبدعا لا بد أن تكون قليل الأدب، لكي تكون مبدعا لا بد أن تكون فاسدا ومفسدا في مجتمعك، تدعو للرذيلة والإباحية والتحرر بمفهومه الغربي، ولا تقلق، سوف نغدق عليك المال والشهرة، سوف نسبب لك الأسباب ونيسر لك الأمور، ونضعك في مصاف العلماء والأدباء، ونقوم بمنحك الجوائز العالمية لإيهام الناس بأنك من خيرة وصفوة المجتمع، وسوف يلمع اسمك كنجمة في سماء عالم المشاهير.

ومن أخطر هؤلاء المفسدين أولئك الذين يكونون على اتصال مباشر بالجماهير، خاصة فئة الشباب والأطفال، نذكر منهم الذين يعملون في الحقل الإعلامي، وأولئك الذين يرتدون عباءة الدين ليبثوا أفكارهم المسمومة عبر الأثير، فتصل سريعة لقلوب وعقول عوام المسلمين.

للأسف فإن هؤلاء المبدعين هم من ذوي النفوس المريضة التي تسعى للمال والشهرة بشتى الوسائل دون وازع أو رادع.

هؤلاء المفسدون «المغرر بهم» اعتقدوا أن الإسلام يقف حاجزا بينهم وبين الإبداع والتحليق في سماء الفكر والحرية، احتقروا المفكرين العرب المسلمين والملتزمين، واتهموهم بالتخلف والرجعية، ونسوا أو تناسوا أن من

مفكريهم الغربيين العظماء من أنصف الإسلام وأخلاقه، ومثال على ذلك إتيان دينيه الذي قال:

«إن العقيدة الإسلامية لا تقف عقبة في سبيل الفكر، فقد يكون المرء صحيح الإسلام، وفي الوقت نفسه حر الفكر، ولا تقتضي حرية الفكر أن يكون المرء منكرا لله، لقد رفع (محمد) قدر العلم إلى أعظم الدرجات، وجعله من أول واجبات المسلم».

هذا أحد المفكرين الغربيين، ينصف الإسلام والمسلمين، بينما أبناء الإسلام يتنصلون منه ويحتقرونه؛ لأنه من وجهة نظرهم يقيد إبداعهم وتفكيرهم.

وهذا مستشرق آخر يدعى هورتن يقول في أحد كتبه: «في الإسلام وحده تجد اتحاد الدين والعلم، فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما، فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرة العلم، وترى وجهة الفلسفة ووجهة العلم متعانقتين، فهما واحدة لا اثنتان».

### أيها المفكرون المبدعون:

إن الشريعة الإسلامية قد تركت للعقل البشري مساحات واسعة للتفكير والابتكار والإبداع، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» رواه مسلم، وقال أيضا: «ما أحل الله فهو حلال، وما حرمه

فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا، ثم تلا (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا). (سورة مريم: 64). ومثله حديث: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» رواه الدارقطني.

**يا أمة «اقرأ» التي لا تقرأ:**

إن الإبداع لا يعني الخروج عن المألوف والثابت، ولا يعني الهجوم على الأشياء المقدسة، ولا يعني إحلال الحرام، لكل شيء حدود، حتى الإبداع له إطار يحكمه وينظمه، وهذا ما تحدث عنه أفلاطون في كتبه قبل آلاف السنين.

أما نحن أنصاف المبدعين، فلنا الله، نحن لا نسعى لجائزة ولا لوسام يعلق على صدورنا بأيدي أعدائنا وأعداء ديننا، نحن نسعى لنترك خلفنا إرثا ثقافيا يستفيد منه من يأتي بعدنا، نحن نترك خلفنا عملا صالحا وعلما ينتفع به.

*(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)*

# في ذمة الله*

قد تكون هذه الكلمات آخر ما أكتب، وقد تكون آخر ما تقرأ، من يدري؟ فالأعمار بيد الله.

إن الموت أمسى بين ظهرانينا، باستمرار يخطف الأرواح الشابة قبل الهرمة، لذا يجب علينا أن نعمل حسابنا لمثل هذه اللحظة التي قد تأتي فجأة دون حساب أو سابقة عذاب، فكم من إنسان رحل عن عالمنا وهو صحيح الجسم معتدل الصحة وفي ريعان شبابه، وكنا نعتقد أن الحياة ما زال بها الكثير لتقدمه له، ولكن الموت للأسف لا يعرف كبيرا أو صغيرا، من يأتي دوره لا يستأخر ساعة ولا يستقدم.

وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا وأكفانه في الغيب تنسج وهو لا يدري

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسامهم ظلمة القبرِ

عندما بدأت رحلتي في عالم التدوين، أردت أن أتعرف على المدونات

---

* جميع الأشعار الواردة في المقالات هي أشعار مقتبسة

وأصحابها، وأعرفهم بنفسي حتى تصل كلماتي إليهم وأشاركهم في حب الكتابة والاستفادة من خبراتهم وكتاباتهم.. وأثناء إبحاري في المدونات العربية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها.. صدمت ببعض المدونين الذين رحلوا عن عالمنا الواقعي والافتراضي وتركوا خلفهم الأهل والخلان و.. مدوناتهم، تلك المدونات التي تستقبل الزوار والمعزين دون انتظار الرد من قبل صاحب/ة المدونة، أحزنني هذا الشيء وبشدة وتخيلت نفسي مكانهم، ربما تأتي ساعتي مبكرا وأرحل عن العالم وأترك خلفي الأهل والأصحاب والأحباب و.. مدونتي!

وعدت نفسي بأن لا أكتب ما يغضب المولى عز وجل مني، ولا أكتب إلا ما يشرفني كتابته وأتمنى أن يسجل في صحيفتي، لتبقى ذكراي في قلوب الجميع بعد رحيلي، وتبقى مدونتي قبلة للكثيرين من الزوار و.. المعزين، ولهذا طعَّمت مدونتي بروابط دينية لقراءة القرآن الكريم والتعريف بالرسول صلوات الله عليه، وقمت بإضافة شريط «وذكّر» وكلي أمل في أن تكون تلك بمثابة صدقة جارية عني في حياتي وفي مماتي.

دائما يحضرني قول خالد بن أبي خيرة المدني رحمه الله: «هي صحيفتك املأها بما شئت» وتلك مدونتك فاملأها بما شئت أيضا.

وما من كاتب إلا سيفنى... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء... يسرك يوم القيامة أن تراه

قال صلى الله عليه وسلم:

(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا). صحيح الجامع.

يا ويلنا من قسوة قلوبنا وغفلتنا عن ديننا

إخواني وأخواتي:

اجعلوا من مدوناتكم منبرا للحق والهدى وابتعدوا عما يغضب المولى عز وجل، فليس هناك أصعب من أن ترحل عن الدنيا وأنت بأمس الحاجة لحسنات، فتجد السيئات تلاحقك حتى بعد موتك، ابتعد عن وضع صور لنساء عاريات أو روابط لأفلام إباحية أو غيرها في مدونتك لتحمل أوزار من يدخلونها ويحملون منها تلك الموبقات، دعونا نتقي الله فيما نفعل ونحاول أن نسير في الطريق الصحيح استعدادا ليوم الرحيل، يوم لا نستطيع العودة لتصحيح أخطاء الماضي والتكفير عن آثام لا تغتفر.

«وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ»..

# الكاتبة في سطور

ولدت الكاتبة الفلسطينية امتياز النحال زعرب في مدينة رفح عام 1981 م، تلقت تعليمها الابتدائي والإعدادي في مدرسة العقاد المشتركة، وتعليمها الثانوي بمدرسة القدس الثانوية للبنات.

حصلت على شهادة البكالوريوس من كلية الآداب تخصص لغة إنجليزية / فرنسي من جامعة الأزهر بغزة عام 2003 م.

ثم نالت شهادة دبلوم تأهيل تربوي من جامعة القدس المفتوحة عام 2009 م.

متزوجة وتعيش حالياً في مدينة غزة.

شاركت في العديد من المؤتمرات والفعاليات الوطنية والثقافية، وكتبت العديد من المقالات والأشعار والقصص القصيرة.

**أنشطتها:**

- عضو رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
- عضو رابطة أدباء الشام.
- صاحبة مدونة "قلم ودفتر".

**مؤلفاتها:**

- أبجدية إبداع عفوي، نصوص، مع مجموعة من المؤلفين، 2011 م.
- حد الوجع، قصص وأشياء أخرى، 2012 م.
- فلسطينيات، سير وتراجم، مخطوط.
- قـاموس الامتيـاز المـصور للأطفـال، قـاموس تعليمـي، مخطوط.



# حد الوجع



## إمتياز النحال زعرب

يظن
يظنُ بأني خذلته
وبعض الظن إثمْ
وكيف أخذل
من كان في القلب
نجمْ
***
يظنُ بأني خنته
والخيانة وصمةٌ
لا تغتفرُ
وكيف يخونُ
من يستقي
من نبعِ الوفاء
ويغترفْ
***
يا وطناً
يسكنُ خلجات الفؤاد
ويعتمرْ
لا طاب لي عيشٌ
إلا في رحابك
الودودُ
وأنا الصبُ المصطبرْ




مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر. أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة. خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات. وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع. وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري. كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر. التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا. ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام. فكرنا في حل بديل. هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا. إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية. وحرصا منها على استمرارها في دورها. وإيمانا منها - كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..
ليصبح بين أيديكم. هذا الكتاب.

**الناشــر**

